

وزارة الاعلام
الهيئة العامة للإستعلامات
القراءة للجميع ٢٠١٠



دور مصر الإقليمي

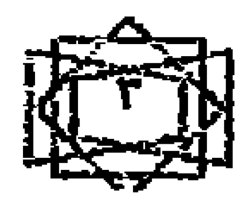
الثابت و المتغير

وزارة الإعلام
الهيئة العامة للاستعلامات
القراءة للجميع
٢٠١٠

دور مصر الإقليمي
الثابت والمتغيــر

إعـــــداد : شعيب عبد الفتاح
إخــراج فني: هشام حمدي

المحتويـــات



مقدمة

كان – ولايزال – الحديث عن تقدم أو تراجع دور مصر الاقليمى يطغى على الساحة العربية، ويسيطر على مشهدها بصورة تكاد تكون متكررةً، خاصةً مع كل أزمة إقليمية يكون أحد أطرافها بلد عربى، فقد ساد افتراض خلال العقدين الأخيرين مفاده أن دور مصر الإقليمي قد بدأ يتقلص، بصفة عامة أو لحساب "أدوار أخرى"، وهى مشكلة بدأت منذ أواخر السبعينيات، وتصاعدت فى ظل اتجاه مصر لاتخاذ مواقف تتعلق بتقديراتها لمصالحها الوطنية العليا، ومحاولات أطراف مختلفة فى المنطقة وراثة دورها عبر سياسات وصلت إلى محاولة التأثير على الداخل المصرى ذاته، إضافةً إلى حدوث تحولات فى هياكل قوة وأدوات تأثير الدول العربية فى الإقليم، وتصاعد تأثير العامل الدولى على تفاعلات الشرق الأوسط. وتطورت تلك المسألة (حسب هذا الافتراض) إلى مستويات غير مسبوقة فى بداية القرن الحالى، الذي وصلت فيه قدرة مصر على التأثير فى السلوك الإقليمي مستوى يتطلب نقاشاً، لاسيما فيما يتعلق بالقضايا الخاصة بالحرب والسلام فى الشرق الأوسط.

ويعيش أصحاب هذا الافتراض الأجواء السابقة عندما كانت مصر مثلاً واضحاً لنظرية الدور الإقليمى، حتى بالغ البعض وجعلها (عقيدة وطنية)، يعد التراجع عنها بمنزلة الخيانة! ولايدرك هؤلاء أن الأزمات في الشرق الأوسط ليست أزمات طارئة, يمكن محاصرتها أو احتواؤها في زمن قصير, وإنما هي مشكلات مزمنة تضرب بجذورها في التاريخ السياسي والاجتماعي والتركيبة الإثنية والدينية, التي نتجت عن قرون من موجات الاستقرار والهجرات والتفاعلات في هذه المنطقة الخطيرة والهامة .

وفي كل الظروف لم يكن أمام مصر من اختيار سوى تحمل مسئوليتها التاريخية في قيادة جهود العمل العربي لمواجهة تلك الأزمات فخلال ما يزيد على أربعة عقود اندلعت في المنطقة أزمات وحروب محدودة, لم يكن مستوى العمل

العربي المشترك قادراً على الحيلولة دون وقوعها, بسبب أطراف خارجية إقليمية، ولكن مصر استطاعت خلال تلك الفترة أن تمنع المنطقة بأسرها من أن تنجرف نحو حرب مدمرة وفوضى شاملة, تزيد أزماتها تعقيدا.

وبرغم صيحات الغضب التي صاحبت كل أزمة طارئة, أو تحركات عسكرية لا تتجاوز بتأثيراتها مناطق القتال فيها, فإن الجميع بات يدرك حكمة المواقف المصرية التي حافظت علي المصالح العربية العليا, وحالت دون أن يصبح الواقع العربي كله ضحية لأزمة طارئة ومحدودة يمكن احتواؤها وتحجيم نتائجها.

ورغم الأصوات العالية، وأدوار العلاقات العامة الصاخبة، إلا أن هناك أصواتاً عربية أمينة على ضميرها القومى ما زالت تدافع عن دور مصر التاريخى والدائم فى دعم العالم العربى والدفاع عن قضاياه، ومنها ما قالته افتتاحية صحيفة الخليج الكويتية فى ١٢ يناير ٢٠١٠، من أن هناك تربصاً واضحاً بمصر ومحاولات من قوى إقليمية وتيارات سياسية ذات طابع ديني ترمي إلى النيل من دورها العربي لمصلحة قوى إقليمية أخرى، تلجأ إلى الضخ الإعلامي، ومحاولة التشويش على الوضع داخلها . وإذا كانت مصر لا تتحدث عن هذا الدور، فإن الواجب علينا وعلى العرب جميعا الدفاع عن هذا الدور، ليس لمصر، ولكن للتاريخ، ولحق الأجيال الحالية والمقبلة في المعرفة، فلا يجوز أن تخلط الأوراق، ومن العيب إعطاء من حارب وقاتل وفاوض ودافع عن العرب دروسا في إدارة العلاقات والتفاعلات المتعلقة بالأمن القومي.

ويرى الدكتور على الدين هلال أن مصر شريكة في التطور العالمي، مواكبة له، ومساهمة فيه. ودورها التاريخي أنها كانت نافذة المنطقة على العالم الخارجي وبوابتها التي جاء من خلالها مجمل التطورات الحديثة في مجالات التعليم والصحة والبنية التحتية والثقافة والسياسة، وأن أحد جوانب قوة مصر هي القدرة على التفاعل الخلاق مع التطورات الجديدة، واستيعاب الحديث دون التنازل عن الهوية الثقافية والحضارية. وهي بتكوينها وسلوكها تُعد رمزاً لمفهوم الدولة الحديثة وللشعب الواحد الذي انصهر في بوتقة الوطنية والعروة الوثقي التي توحد الفرقاء



وتقرب بين المختلفين وتترفع عن اللدد في الخصومة. وبحكم وزنها وثقلها تحافظ على جسور العلاقة مع أغلب الأطراف فمصر أكبر من أن تكون مجرد وسيط لأن أي وساطة لها نهاية بحكم التعريف، كما أنها لا تصبح أسيرة لأحد الملفات الإقليمية أو رهينة له لأن دورها العالمي والإقليمي يتجاوز أي ملف أو موضوع ولديها من الثقة بالذات ما يجعلها تراقب أولئك الباحثين عن دور أو زعامة وتتدخل في الوقت المناسب لوقف ما تعتبره ماساً بالمصالح العربية. مصر بحجمها وعدد مواطنيها وثقلها التاريخي هي رمانة الميزان التي تحقق التوازن والاستقرار وترسم باختياراتها الإستراتيجيـــة مســـار التطور الإقليمي في الأمور الداخلية والخارجية. وعندما تقوم بهذا الدور فإنها لا تبحث عن قيادة ولا تتطلع إلى زعامة ولا تدخل في تنافس مع طرف آخر فالقيادة الحقة هي التأثير من خلال القدوة والنموذج، وهي المبادرة في طرح الأفكار والحلول والتعبير عن مكونات الأمن العربي والدفاع عنها وهي احترام الآراء الأخرى واحتواؤها والعمل في تواضع وكبرياء. فدرس التاريخ والواقع أنه لا يمكن تجاوز دور مصر أو الالتفاف عليه، وأنها الجدار الذي تحطمت عليه محاولات الاختراق والتفكيك للمنطقة من وقت طويل . وهي تدرك أن أي دور خارجي يستند إلى تنمية عناصر القوة الشاملة (قوة الدولة والمجتمع والفرد) التقليدية منها أو الناعمة وتوظيفها بشكل متناغم بما يخدم المصالح الوطنية والقومية. ولذلك تقوم مصر بعملية إصلاح شاملة في الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية، بمنهج متدرج يحافظ على الاستقرار في إطار التغيير ويدعم أركان الدولة المدنية والمجتمع الديمقراطي الذي ينهض على تعددية حزبية نشطة ومجتمع مدني قوي ومواطنين أحرار، وأن التطور الديمقراطي واحترام حقوق الإنسان هو مطلب مصري قبل أن يكون رغبة أمريكية أو دولية . لذا سيكون هذا التطور صناعة مصرية بامتياز .

وتلقى هذه الدراسة الضوء على طبيعة دور مصر الاقليمى وارتباطه بمصالح الدولة العليا؛ وسط عالم متغير وتحديات جديدة؛ تقتضى من الجميع الحكمة فى كيفية الاستجابة لها والتعامل معها .



الفصل الاول

أصل وما هية الدور الاقليمى

أولا : الدور .. المفهوم – الخصائص – الأهداف

١- الـــــــــدور :

يعرف الدور بأنه أحد مكونات السياسة الخارجية، وهو ينصرف إلى الوظيفة أو الوظائف الرئيسية التى تقوم بها الدولة فى الخارج عبر فترة زمنية طويلة، وذلك فى سعيها لتحقيق أهداف سياستها الخارجية[١] كذلك يعرف بأنه مفهوم صانعى السياسة الخارجية لماهية القرارات والالتزامات والقواعد والافعال المناسبة لدولتهم، والوظائف التى يجب عليهم القيام بها فى عدد من الأطر الجغرافية الموضوعية [٢] ومن هذا المنطلق لا ينشأ الدور الإقليمى إلا عندما تسعى الدولة إلى القيام به وصياغته صياغة واعية.

ويقسم كلٌ من : الدكتور على الدين هلال والدكتور بهجت قرنى الدور إلى فرعين: **أحدهما** مرتبط بالتوجه أو التصور العام المُعبر عن المعتقدات والتصورات المجتمعية، والأغلب الأعم أن تكون مسبقة، مساهِمة فيها بعمق عمليات سياسية واقتصادية واجتماعية ودولية ونفسية معقدة ومتعددة المستويات، **وثانيهما** متصل بالسلوك المحدد بشأن قضايا بعينها فى إطار زمنى مقيد.

وبعبارة أخرى، يقسم الدور إلى، **أولاً**، مفهوم الدور، **ثانيا**، أداء الدور، اى أن كل صانع قرار فى السياسة الخارجية لديه مفهوم للدور وأسلوب لأدائه[٣].

---

(١) د. منير بدوى – الدور الاقليمى لمصر ، اشكالية المصالح اولا – كتاب الدور الاقليمى لمصر فى مواجهة التحديات الراهنة – المحرر د. نادية مصطفى – مركز البحوث والدراسات السياسية – كلية الاقتصاد والعلوم السياسية – جامعة القاهرة – ٢٠٠٢

(٢) المصدر السابق.

(٣) د.جهاد عودة – هلال وقرنى والسياسات الخارجية العربية – المصرى اليوم- ٢٠٠٩/٢/٢٤

ويعتبر هذا المفهوم أن السياسة الخارجية هى نظام مفتوح يعبر عن تطور مجتمعى فى لحظة تاريخية محددة، آخذاً فى الاعتباره دروس الماضى وتصورات المستقبل، وأن مفهوم الدور هو مفهوم وظيفى بامتياز سواء فى تصوره عند صانع القرار أو فى تطبيقه أو تنفيذه، وأن النظام الدولى يتغير فى إطار الاستمرار فى معالم القوة الدولية المعروفة، لهذا يعتقد هؤلاء أن صانع القرار يحتاج إلى نفاذ رؤية لإدراك الفرص الدولية، بينما يرى الدكتور جهاد عودة ان صانع القرار يحتاج إلى معرفة ذات طبيعة مختلفة لتخليق هذه الفرص الدولية[٤].

٢- خصائص الـدور:

كأحد مكونات السياسة الخارجية للدولة فان للدور **أربع خصائص أساسية هى :-**

أ- أنه يتجاوز حدود التصور ليرتبط بالممارسة، أى أن مجرد تقديم تصور له لا يعنى بالضرورة تحققه، فأداء او تنفيذ الدور يرتبط بتخصيص الموارد المطلوبة لذلك.

ب- أنه يتضمن تصورات صانع السياسة الخارجية للأدوار التى يؤديها أعداؤه، بمعنى أن دور الدولة لابد أن يأخذ فى أعتباره تصوره لأدوار الدولة أو الدول المعادية وأسلوب التعامل معها.

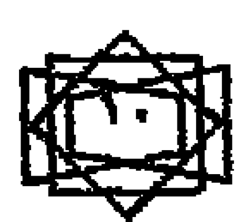
ج- أن أدوار الدولة تتعدد فى نفس الوقت، وهذا يعنى أن الدولة الواحدة ممكن أن تقوم بأدوار متعددة كدور مصر الاستقلالى خلال الستينيات، ودورها فى نفس الوقت فى تحقيق التكامل العربى.

د- من الممكن أن يتباين أو يختلف دور الدولة الواحدة فى المستويات المختلفة(إقليمياً ودوليا)، وهذا يتضح فى قيام الولايات المتحدة بمهام رجل شرطة العالم، بينما إقليمياً تلعب دوراً تكامليا فى أمريكا الشمالية[٥].

---

(٤) د.جهاد عودة – هلال وقرن والسياسات الخارجية العربية – المصرى اليوم- ٢٠٠٩/٢/٢٤

(٥) المصدر السابق



٣- أهــداف الــدور

تتعدد أهداف الدور الخارجى للدولة، كما يلى: -

أ- قد يهدف الى تغيير الأوضاع الراهنة بشكل جذرى, ومن ثم يتضمن دوراً تدخلياً نشيطاً فى الشئون الدولية مثل دور الدولة (قاعدة الثورة) وتصورها لمسئوليتها فى قيادة الحركات الثورية فى الخارج وإمدادها بأشكال المعونة المتنوعة.

ب- قد يستهدف(تقديم نموذج) كأن تقوم الدولة ببناء نموذج تنموى داخلى يمكن أن يشكل نقطة جذب للقوى الدولية الأخرى.

ج- ممكن أن يسعى إلى تكريس استخدام القوة فى العلاقات الدولية.

د- قد يقتصر على مجرد الدفاع الاقليمى عن مجموعة من الدول فى مواجهة العدوان الخارجى.

هـ- قد يتخذ أهدافاً أيديولوجيةً يدافع عنها ضد أهداف ايديولوجية أخرى منافسة أو معادية[٦].

يتضح من العرض السابق أن الخلاف حول مفهوم الدور مازال قائماً، لكنه فى واقع الأمر خلاف نظرى يمكن التعايش معه، إلا أن الأساس حول هذه النقطة أن الدور ليس حملة علاقات عامة أو إشعاع فى الفضاء، وإنما قدرة على التأثير بما يخلق مناخ إقليمى عام يدعم مصالح الدولة صاحبة الدور فى المنطقة خاصةً فيما يتعلق بالتنمية والاستقرار والمكانة، أو تقليصه إلى أقصى حد من التهديدات الموجهة لهذه المصالح[٧].

وتنسحب أهمية الدور – غالباً – على المصالح الأخرى بشكل يفيد الأمن والتنمية والاستقرار، وأحياناً يستخدم كأداة للمساومة مع القوة الخارجية والقوة الإقليمية لتحقيق مصالح محددة، وطالما ما يقود إلى مخاطر خارجية جمة وسلوكيات مرتبكة.

---

(٦) د.جهاد عودة – هلال وقرن والسياسات الخارجية العربية – المصرى اليوم- ٢٠٠٩/٢/٢٤

(٧) محمد عبد السلام، الدور المصرى الإقليمى، المركز الدولى للدراسات المستقبلية والاستراتيجية – القاهرة ٢٠٠٦

وفى ظل المتغيرات الإقليمية والمحلية الحادة التى شملت كل المجالات وثورة المعلومات والاتصالات الهائلة فإننا أمام عالم جديد تحكم علاقاته أسس وقواعد جديدة تحتاج إلى تصويب الكثير من المفاهيم التى كانت سائدةً، ولازال بعضها سائداً، بما يساهم فى تطوير السياسات والاستراتيجيات للتعامل مع هذه المعطيات الجديدة[٨] وضعاً فى الاعتبار ما يلى:

أ- أن الحديث عن الأدوار الإقليمية للدول ليس حديثاً مطلقاً أو جامداً وإنما عملية تتسم بالمرونة، فالدور الإقليمى لبلد ما هو محصلة تفاعل عوامل خاصة بهذه الدولة مع الإطارين الإقليمى والدولى.

ب- عند الحديث عن أدوار الدول فإننا نتحدث عن مكونات أو مرتكزات ذاتية وأسس داخلية توظف إطاراً إقليمياً ودولياً بشكل معين على النحو الذى يعظم من دور الدولة على المستويين الإقليمى والدولى، وتنقسم المكونات الوطنية التى تسمى (القدرات الشاملة للدولة) إلى مكونات موروثة أو شبه ثابتة، وأخرى تتسم بالمرونة والتغير، وفيما يخص المجموعة **الأولى** فتشمل: الموقع والمساحة والسكان والموارد الطبيعية، أما المجموعة **الثانية** فتشمل: القدرات الاقتصادية والعسكرية والمهارات البشرية والمستوى التكنولوجى ومعدلات النمو الاقتصادى والتطور الديمقراطى والاستقرار الداخلى والاندماج والاستقرار الوطنى[٩].

---

(٨) محمد عبد السلام .. المرجع السابق

(٩) د. عماد جاد – تطور المشكلة الفلسطينية والموقف المصرى – الدور المصرى فى بيئة متغيرة – المركز الدولى للدراسات المستقبلية والاستراتيجية – القاهرة ٢٠٠٦ .

ثانياً: نظرية الدور الاقليمي وفلسفة المجال الحيوي:

١- ماهية النظام الاقليمي:

يمثل النظام الاقليمي وحدةً متوسطةً بين الدولة القومية والنظام العالمي، ولهذا يعرف بأنه (نمطاً منتظماً من التفاعلات بين وحدات سياسية مستقلة داخل إقليم جغرافي معين). كما يوصف بأنه (إطار تفاعلي مميز بين مجموعة من الدول يفترض بأنه يتسم بنمطية وكثافة التفاعلات بما يجعل التغير في جزء منه يؤثر على بقية الأجزاء، وبما يؤدي أو يحمل ضمناً اعترافاً داخلياً وخارجياً بهذا النظام كنمط مميز)[١٠].

والتمييز بين النظم الاقليمية يستند الى اتجاهات ومدارس متعددة، من بينها من يذهب الى التمييز بين اتجاهات **ثلاثة في هذه النظم هي** : -

الأول: اتجاه التقارب، ويقصد به التقارب الجغرافي .

والثاني: اتجاه التماثل أو التجانس، وهو يركز على أبعاد التماثل الثقافي والاجتماعي والاقتصادي .

أما الاتجاه الثالث فهو الاتجاه التفاعلي، الذي ينتقد الاتجاهين السابقين لعدم اشتراطهما أن تكون الدول المتجاورة على علاقات وثيقة فيما بينها، ومن ثم يصبح العامل الحيوي في أي نظام اقليمي هو: مدى وجود تفاعلات سياسية واقتصادية وثقافية بين الدول وبعضها البعض.

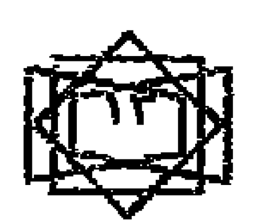
وبصرف النظر عما تظهره هذه الاتجاهات من تنوع، فان من بين المعايير المتفق علي توافرها في **تعريف النظم الاقليمية ما يلي** : -

أ- وجود أكثر من ثلاث دول (أو دولتين على الأقل عند البعض) تشارك في عضوية النظام.

ب- وجود شبكة معقدة ومتداخلة من التفاعلات السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية الخاصة بالنظام .

---

(١٠) د. محمد السعيد ادريس : تحليل النظم الاقليمية : دراسة في أصول العلاقات الدولية الاقليمية – مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية – الاهرام – ٢٠٠١ – عن د. منير بدوي – مرجع سابق



ج- وجود منطقة جغرافية معينة كمحدد لهوية النظام ، أى توافر تقارب جغرافى ملحوظ بين وحدات النظام.

د- وجود درجة ملحوظة من التجانس الاجتماعى والاقتصادى والثقافى(١١).

٢- جذور نظرية الدور الإقليمى:

يرجع أصل وجذور نظرية الدور الإقليمى إلى فلسفة السياسة النازية التى ترى أن لكل دولة مركزية (مجالاً حيوياً) تلعب فيه دوراً بحكم تاريخها وجغرافيتها(١٢)، وأن لهذه الدولة أن تسيطر عليه بالغزو المسلح للأقاليم إن لم يكن بممارسة النفوذ السياسى، وذلك حسب الفكر الألماني الذى أقر بعضوية الدولة وضرورة زحزحة حدودها لتشمل أراضي تتناسب مع متطلباتها الجغرافية.

وجاء ذلك في ظل تنامي أفكار القومية الشيفونية الممزوجة بأغراض التوسع العسكري للحزب النازي، ولم يتوان هتلر فى تلقف هذه الافكار لتكريس مفهوم المجال الحيوي لألمانيا، أي مساحتها الجغرافية اللائقة بها وبالجنس الآري، ولتمثل أبرز مقومات القومية الاشتراكية (النازية) التي تبناها(١٣).

وتبدو خطورة هذه النظرية في أن تعريف المجال الحيوي لقوة عظمي محددة يعتمد على إدراك النخبة السياسية الحاكمة لحدود هذا المجال, وقد تؤدي الأطماع الاستعمارية إلى توسيع هذا المجال من خلال غزو أقطار مجاورة, وضمها إلى أراضي القوة العظمى(١٤).

وعلى الجانب الآخر ظهر على المسرح الجغرافي - مع خروج الولايات المتحدة من الحرب العالمية الثانية كأكبر قوة عالمية- مفهوم جديد للمجال الحيوى وهو "الحدود الشفافة"، التي يقصد بها الهيمنة الأمريكية الاقتصادية والعسكرية دون حدود خرائطية للدولة. أو ما يسميه تايلور- أشهر باحثي الجغرافيا السياسية في العقدين الأخيرين- بـ"جغرافية السيطرة من دون

---

(١١) د.منير بدوى – المرجع السابق

(١٢) عبد الحميد الانصارى .. صحيفة الجريدة الكويتية .. ٢٤ نوفمبر ٢٠٠٨

(١٣) عاطف محمد عبد الحميد .. الجيوبوليتيك .. طمع السياسة يشوه علما ! ٩ اكتوبر ٢٠٠٢

(١٤) السيد يسين .. من الصراع الايدولوجي الى دوائر المجال الحيوى ! الاهرام ٢ اكتوبر ٢٠٠٨

إمبراطورية". وهذا المفهوم يسمح بأن يصبح العالم كله "المجال الحيوي" للولايات المتحدة، بعدما عاشت الأخيرة حتى الحرب العالمية الثانية في عزلة اختارتها لنفسها.

وأهم سمة في هذا المجال الحيوي هو "اللامواجهة"؛ استناداً إلى مزايا الحرب الإلكترونية، وتوظيف الخصوم المتناحرين في إدارة الحرب بالإنابة، أو التدخل في لحظة محددة باعتباره تدخلاً إنسانياً لصالح العدل والحرية، وفي نفس الوقت تدفع الولايات المتحدة في هذا المجال الحيوي - دون حاجة لتوسيع الحدود- بمبيعات أسلحتها وتحصل شركاتها على أفضل فرص "إعادة الإعمار" وحقوق التنقيب عن الثروات[١٥] ويشهد على ذلك أن الولايات المتحدة قسمت العالم إلى مناطق عسكرية لكل منها قيادة محددة تعمل تحت إمرتها أساطيل وطائرات وقوات عسكرية.

وقد أرادت الولايات المتحدة أن تنتهز فرصة فمدت مجالها الحيوي إلى حدودها من خلال استقطاب دول أوروبا الاشتراكية السابقة التى كانت تدور فى فلك الاتحاد السوفيتى قبل تفككه، لتصبح تابعة لها سياسياً بضمها إلى حلف الأطلنطي, واقتصادياً من خلال مدها بالمساعدات, غير أنه أخطر من ذلك كله إقامة شبكة متكاملة من الصواريخ بعيدة المدي تحاصر بها روسيا استراتيجياً, بزعم أنها موجهة ضد إيران, رغم الاعتراض الروسى بأنه ذلك يهدد أمنها القومي[١٦] .

وهناك من يرى أن المجال الحيوى يتضمن كافة مجالات الأنشطة الإستراتيجية التي تقوم بها دولة ما، على البر، وفي البحر، وتحت الماء، وفي الجو، وفي الفضاء. ويتم تحديد أبعاد "المجال الحيوي" لأي دولة من خلال قدراتها الاقتصادية، والعلمية، والتقنية، والاجتماعية، والعسكرية ــ أو "قوتها الإجمالية". وطبقاً للمنظــرين الصينيين فإن "المجال الحيوي" للقوى العظمى يمتد إلى ما هو أبعد من حدود الدولة[١٧].

---

(١٥) عاطف معتمد عبد الحميد .. مرجع سابق

(١٦) السيد يسين .. مرجع سابق

(١٧) أندريه بيونتكوفسكى .. تهديد الصين لروسيا .. ترجمة أمين علي .. بروجيكت سنديكيت ٢٠٠٧



ثالثاً : مفهوم الشرق الاوسط .. التعدد والاختلاف:

بدأ مصطلح (الشرق الأوسط) في التداول السياسي والفكري في خمسينيات القرن الماضي، وكان هدفه المباشر فرض هوية جديدة على أبناء الأمة تتلاشى فيها أو تضيع المرجعية العربية لصالح وعاء فضفاض تمت تسميته بالشرق أوسطية، ويتحول الوطن العربي الجامع بكل مكوناته الثقافية والسياسية والحضارية إلى واقع جغرافي مختلف غايته إدخال دول غير عربية مثل تركيا وإيران في ما سمي بالإقليم الشرق أوسطي تمهيداً لإضفاء الشرعية في إطار الإقليم على كيان آخر هو إسرائيل(١٨).

أي لم يكن مفهوم الشرق الأوسط سوى تعبير عن المنظور الاستعماري في العصر البريطاني، ورؤية العالم ومناطق النفوذ من زاوية المركز الأوروبي؛ وفي الوقت ذاته نفي لأي تسمية أو مشروع لتوحيد الوطن العربي؛ ومن هنا كان تعبير الشرق الأدنى مرادفاً للدول العربية الواقعة فيما يسمى بالهلال الخصيب، واختلفت دلالة مفهوم الشرق الأوسط قبيل وأثناء الحرب العالمية الثانية عن دلالته بعد الحرب(١٩).

ويرى غسان سلامة أن عبارة «الشرق الأوسط» مازالت تدلّ على منطقة غير متّفق على تعريفها، وليس لها حدود واضحة، فالبعض يعرفّ الشرق الأوسط بكل بساطة على أنّه «إسرائيل وجوارها»، فيما يضمّ آخرون بلدان آسيا الوسطى إلى الشرق الأوسط آخذين بالاعتبار انهيار الاتّحاد السوفيتي، وجرى نقاش لا ينتهي حول إذا ما كان السودان وشمال أفريقيا وإيران وتركيا، تشكّل جزءاً منه فيما يرى البعض أنه يقع من مراكش إلى بنجلادش !!

---

(١٨) د. لقاء مكي .. الشرق الاوسط الجديد .. اختلاق – الفوضى المعرفة – ٨ سبتمبر ٢٠٠٦

(١٩) مجدى رياض .. الشرق الاوسط من الاستعمار التقليدى الى التعريف الامريكى .. جريدة العربي ٢٠٠٤/٤/١٧

أما الشرق الأوسط الكبير فهو مصطلح درج على استخدامه الخطاب الأمريكى أثناء حكم المحافظين الجدد بقيادة الرئيس الأمريكى السابق جورج بوش عند إشارته للمنطقة العربية وما يحيطها من دول إسلامية، وبالرغم من كونه مفهوماً فضفاضاً وغير محدد، إلا أن الشرق الأوسط الكبير احتوى بالأساس على مضامين سياسية واقتصادية وثقافية ارتبطت بشكل مباشر أو غير مباشر بالأمن القومى العربي، وقد اكتسب مفهوم الأمن عامةً، والأمن القومى خاصةً أبعادًا غير عسكرية ولكنها مهمة وربما لا تقل الآن أهميةً عن الأبعاد العسكرية ومنها القضايا السياسية والاقتصادية والأمنية والمجتمعية والثقافية الحيوية الماسة باستقرار وأمن المنطقة. كما أن التفاعل بين المتغيرات الخارجية والداخلية التى عاشتها المنطقة العربية دفع القوى الخارجية وبقيادة أمريكية ان تجعل من رؤاها وأهدافها مدخلات أساسية تؤثر فى صنع القرارات والسياسات العربية سواء فى أبعادها المحلية أو الإقليمية والدولية[٢٠].

وحسب الرؤية الأمريكية أيضاً، فإن المفهوم الأوسع لتعبير الشرق الأوسط الكبير يضم بلدان العالم العربي، إضافة إلى باكستان وأفغانستان وإيران وتركيا وإسرائيل، ويمكن رصد **أهم سمات هذا المفهوم فيما يلى**[٢١]:

١- أنه غير خاضع لخطوط المعارك الحربية، كما كان في عصر بريطانيا العظمى، أو كما كان الأمر بالنسبة للحرب الباردة وصراع الكتلتين، بعد الحرب العالمية الثانية، ولا يعني هذا عدم دخول البعد العسكري في هذا التعريف، لكن التعريفات السابقة ترسم الحدود وفق وجود القوات والعمليات، بينما التعريف الأمريكي يضع الحدود أولاً للمفهوم ثم يجعل القوة العسكرية (وغيرها من الأدوات الاقتصادية والثقافية) تتحرك فوقها، وتقيم عملياتها وقتما تشاء.

---

(٢٠) د.نادية مصطفى .. المؤتمر السنوى لمركز البحوث والدراسات السياسية : الشرق الاوسط الكبير محاولة لاعادة رسم الخريطة العربية ـ يوليو ٢٠٠٧

(٢١) مجدى رياض .. مرجع سابق

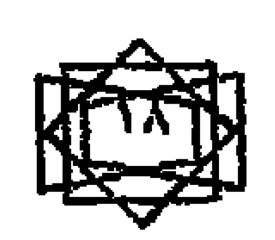
٢- أنه يقوم على أساس خريطة بلا تضاريس جغرافية، فلا تحمل عوائق طبيعية.. وبلا تضاريس عسكرية أو بشرية، فلا تسجل عوائق صناعية أو حواجز مانعة ومن ثم مطلوب ملء تلك الصفحات بالثقافة والأفكار والنظام الاقتصادي بل والعسكري وفق المشيئة الأمريكية؛ وهي فرصة قلما توفرت في التاريخ بهذه الصورة ولأن هذه المنطقة أرض الصدام والمعركة وجسر العبور لطرفي الصراع؛ فهي بين فكي رحى، وهي ضحية موقعها الجغرافي؛ وهو ما يسهل المهمة الأمريكية للانقضاض عليها والعبور منها للانفراد العالمي.

٣- ولأنها فرصة تاريخية فهناك حتمية لتشكيلها وفق الاحتياجات الاقتصادية الأمريكية (وفي مقدمتها الطاقة ثم الأسواق) وضرورة أن تكون خطوط الطول والعرض في الخريطة الجديدة هي التي توفر سهولة الإمدادات بالطاقة وسرعتها ورخصها، إلى جانب التحكم فيها، خاصةً في ظل غياب الموانع والعوائق.

٤- ووفق الضرورة والفرصة والاحتياجات، فإن فصل دول من إقليم الشرق الأوسط، أو إضافة دول إليه أمر بديهي؛ بل إن السعي إلى تقسيم دولة ما إلى دويلات أو كانتونات أو مناطق طائفية أو عرقية هو أمر ضروري تحكمه الرغبات والخطة الأمريكية، فضلاً عن أنه تأمين للمستقبل ومفاجآت التاريخ ودروسه؛ هذا إلى جانب سهولة السيطرة لواشنطن وصعوبة المواجهة ضدها.

رابعاً : أسباب الارتباط بين مصر والدور الاقليمي:

ترجمت نظرية المجال الحيوى على يد المفكر الجغرافي المبدع جمال حمدان في تناوله للمصالح الجيوبوليتيكية لمصر في مؤلفه الفريد عن (شخصية مصر) حيث قدم ما يمكن أن يكون أساساً لنموذج تُحدد فيه الدوائر الجغرافية للمصالح العربية القائمة على التبادل والتكامل مع ما يجاورها من قوى سياسية. ورأى أن لمصر دوراً إقليمياً بحكم أنها نقطة تلاقى قارات العالم واختراق النيل لأراضيها وكونها أقدم حضارات العالم.



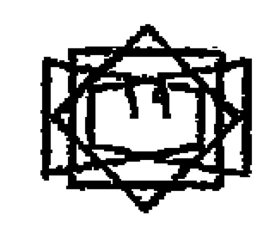
ويرى الدكتور جمال حمدان أن الشخصية الإقليمية لمصر شيء أكبر من مجرد المحصلة الرياضية لخصائص وتوزيع الإقليم.

ويقول: فهي تجمع بين أطراف متعددة غنية وجوانب كثيرة خصبة وتمر بين أبعاد وآفاق واسعة بصورة تؤكدها ملكة الحد الأوسط وتجعلها سيدة الحلول الوسطي وتجعلها أمة وسطاً بكل معني الكلمة، بكل معني الوسط الذهبي، ولكن ليس أمة نص وسط في الموقع والدور الحضاري والتاريخي والطاقة في السياسة والحرب في الفطرة والتفكير، ولعل هذه الموهبة الحيوية سر بقائها وحيويتها علي مر العصور وهي فلتة جغرافية لا تتكرر في أي ركن من أركان العالم فالمكان كالجغرافيا كالتاريخ لا يعيد نفسه.

أما وليم كوانت الذي تحدث عن أهمية مصر وثقلها في العالم العربي في مؤلفه (السعودية والثمانينيات.. السياسة الخارجية والأمن والنفط) فقد كتب يقول في وصفه لتلك الأسباب التي جعلت من مصر (الرائد الإقليمي) إنها تعد أضخم مورد للعمالة المهرة، ونصف المهرة وهي أقوي قوة عسكرية في العالم العربي وتعرب علي نحو دائم عن استعدادها لتقديم المعونة العسكرية وغيرها في وقت الشدة لجيرانها.

ويقول: بات من المسلم به وعلي نحو عام أنه بدون مصر لا يستطيع العرب القيام بشن حرب علي إسرائيل أو أن يعقدوا سلاماً معها، وقديما قال نابليون «ان مصر قلب العالم ومن يسيطر عليها يمكن أن يسيطر على العالم».

وإذا كانت مسألة الدور الإقليمي تمثل أهميةً بالنسبة لكل الدول فى الشرق الأوسط، لاسيما فى ظل ما بدا أحياناً أنه صراع على الأدوار فى المنطقة، كما تتغير أسسها بصورة مربكة عبر الزمن سواء بفعل التغيرات التى تلحق بقوة الدول فى الإقليم، أو فعالية السياسات الداخلية والخارجية للحكومات المتتابعة، فإن مسألة الدور – مهما كان تعريفه – مثل دائماً أهمية كبرى خاصة بالنسبة لمصر لعدة أسباب، **أهمها :**



١- أنها فكرة تحولت إلى إشكالية تاريخية بالنسبة لمصر، فهى دولة قديمة، ربما تكون الأقدم فى التاريخ البشرى، ولديها تراث حضارى متعدد المراحل جعلها – على الأقل بصورتها الفرعونية – إحدى الدول القليلة المعروفة لدى كل شعوب الأرض. كما أنها مارست ذلك الدور سياسياً وثقافياً وعسكرياً فى مراحل تاريخية مختلفة، على نحو شكل أحياناً خرائط المنطقة[٢٢].

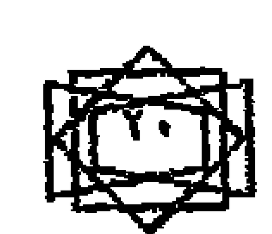
فمصر بلد عجوز يحمل علي كاهله كل تجارب السنين, ولديه تراكم ثقافي وحضاري تحسده عليه أمم الأرض وشعوب العالم, بل إن اسم "أم الدنيا" و"المحروسة" و"الكنانة" كلها مسميات أطلقها الغير علي هذه الأرض المباركة التي كلم فوقها موسي ربه, وعبرت عليها رحلة العائلة المقدسة حتي أضاءت ربوعها بنور الإسلام، إنها الدولة التي تكرر اسمها كثيراً في الكتب المقدسة, ولا عجب فهي مصر التي اكتشفت معني التوحيد, واستعدت للحياة الثانية بالمقابر والمعابد والأهرامات, وقضية الدور بالنسبة لمصر ليست قضية جديدة, ولا فكرة عابرة, إنها أبعد من ذلك وأعمق بكثير[٢٣].

٢ – أن مسألة الدور كانت تبدو دائماً وكأنها لايمكن تجنبها بالنسبة لمصر، فبحكم موقع (وموضع) مصر الجغرافى فى قلب الإقليم، وحساسية مواردها القومية للتغييرات التى تحدث فى البيئة الإقليمية، كانت مصر هى الدولة الأكثر تأثراً بما يجرى فى الإقليم، يتضمن ذلك اتجاه "القوات الخارجية" نحوها تاريخياً، واتجاه القوى الإقليمية ذاتها إلى استهداف مكانتها أحياناً، كما بدت من ناحية أخرى الدولة الأكثر قدرة على التأثير في التفاعلات الإقليمية، وبالتالى لم يكن خيار الانكفاء على الذات أو التقوقع داخل الحدود متاحاً أو متصوراً كاستراتيجية ممكنة، وبدت تلك المعادلة حدية أحياناً، فإما أن تكون مصر فاعل

---

(٢٢) المؤتمر السنوى الثالث حول المصالح الوطنية المصرية وتطور دور مصر الإقليمي فى ظل المتغيرات الحالية مايو ٢٠٠٨ _ المركز القومي للدراسات المستقبلية والإستراتيجية

(٢٣) د. مصطفي الفقي- حوار العصر.. مسألة دور مصر- الاهرام،١٦ يونيو ٢٠٠٩



أو هدف، إمبراطورية أو مستعمرة، قوية أو ضعيفة، وبصرف النظر عن مدى واقعية ذلك، لم يبد أن لدى مصر خياراتٍ بعيداً عن التأثير القوى فى الإقليم والاهتمام بما يحدث فى العالم.

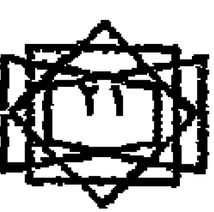
٣ – أن الدور الخارجى لمصر له أهمية عملية تنسحب على المصالح الأخرى الأكثر تحديداً، فقد عمل أو ساهم فى دعم قدرة مصر على الحفاظ على أمنها القومى أو استقرارها السياسى أو نموها الاقتصادي، أو تقليص التأثيرات السلبية التى يمكن أن تهددها أو تلحق بها. ومثلت قدرتها على التأثير الإقليمى عنصر قوة أو "مساومة" هام فى إدارة علاقاتها الدولية مع القوى الكبرى فى العالم. وكان الدور الخارجى واحد من عناصر تدعيم شرعية النظم السياسية فى الداخل. وبقدر ما شكل ذلك عنصر قوة حقيقى لمصر، قادت تلك المسألة أحياناً إلى مخاطرات خارجية وأحياناً سلوكيات مربكة أو "مواقف مجانية" أو علاقات عامة، وربما مبالغة فى تصور مدى تأثير التطورات الدولية عليها، لكن ظلت مسألة الدور الخارجى تتسم بالجدية الشديدة بالنسبة لمصر[٢٤].

٤– هناك مشكلة خاصة بالنسبة لمصر وهى أن الدور تحول إلى مصلحة جوهرية مثل الأمن والتنمية والاستقرار، وهناك مشكلة أخرى بالنسبة له وهى أنه بدا دائماً كمشكلة لا يمكن تجنبها وهى طبيعة موارد مصر، وطبيعة خبرتها التاريخية في التعامل مع الدول المجاورة، كما أن مصر لم يكن لديها خيار أن تتقوقع على الذات، وكان ينطبق عليها طوال الوقت التعبير الذي ينص على أنه إذا لم تهتم بالاستراتيجية فإن الإستراتيجية تهتم بك، وبالتالي فلم يكن لمصر خيار غير أن تمارس دوراً على المستوى الإقليمي على الأقل[٢٥].

---

(٢٤) المؤتمر السنوى الثالث حول المصالح الوطنية المصرية وتطور دور مصر الإقليمي فى ظل المتغيرات الحالية – مايو ٢٠٠٨ – مرجع سابق

(٢٥) محمد عبد السلام، المركز الدولى .. مرجع سابق



وأخيراً يؤكد الدكتور جمال حمدان أن (مصر أكثر من عضو ضخم فى الجسم العربى، إنها رأس، ورأس مؤثر، ثم هى جهاز عصبى ومركزى فعال، وهى فى الحالة الأولى بمثابة جيروسكوب العالم العربى الذى يرسى سفينته فى وجه العواصف الخارجية، ويمنحه من وزنه ليمنع تميعه أو ضياعه بين الضغوط والاغراءات، وهى فى الثانية كبوصلة العالم العربى التى تتحسس نبضه وترصد تيارات العالم ثم تحدد اتجاه القافلة، وفى الحالتين هى النموذج الذى يترسمه العالم العربى فى تطوره السياسى وغير السياسى، وبحكم هذا الموقع كانت مصر ملتقى العرب أو مجمع الأسرة وأحياناً ملجأ وملاذاً وخط دفاع أخير عن التراث العربى، إن دور مصر القيادى والريادى فى العالم العربى لم ينقطع أبداً حتى فى الفترات التى آلت فيها الزعامة الشكلية إلى غيرها.. إن زعامة مصر لا تعنى طبقية إقليمية داخل العروبة وإنما تعنى أولويةً بين أكفاء وأسبقيةً لا رياسةً فى حلبة مفتوحة تظل تترك دار العرب "مائدة مستديرة" . إن دور الزعامة هو ممارسة متواضعة صامتة وهو بهذا لا يمكن أن يكون تشريفاً أو تخليداً بل هو تكليف وتقليد: تكليف من الجغرافيا، وتقليد من التاريخ)[٢٦].

(٢٦) د. جمال حمدان، شخصية مصر : دراسة فى عبقرية المكان، الجزء الرابع، دار الهلال ١٩٩٥

الفصل الثانى
التحديات المعاصرة
لـــدور مصـــر الاستراتيجـــى

المقصود بالدور الإستراتيجي هو الدور السياسي الأمني الذى يحتل أهميةً خاصةً ويدور حوله نقاش واسع فى الوقت الحالى، فقد كانت قدرة مصر على التأثير فى التوجهات السياسية لدول المنطقة هى أكثر مظاهر دورها الإقليمي، لكنها وُجهت بمعارضة ومنافسة قوية فى السبعينيات، واختلطت الأمور فى التسعينيات وصولاً إلى بداية القرن الحالى فى ظل صعود قوى إقليمية وعربية أخرى فى الشرق الأوسط.

ويعتبر تغير البيئة الدولية والاقليمية والمحلية أهم التحديات التى تواجه دور مصر الاقليمى فى الوقت الحالى وتؤثر تأثيراً مباشراً على طبيعته وقدرته على الحركة والفاعلية.

ونشير إلى هذه البيئة فى **النقاط التالية** : —

أولاً : البيئة الدولية:

مع الاعتراف بأهمية علاقات مصر بالقوى الدولية الرئيسية كالاتحاد الأوروبى وروسيا والصين، إلا أن العلاقات المصرية الأمريكية تعد من أهم واكثر محددات البيئة الدولية تأثيراً على الدور الاقليمى لمصر[1].

وتنطلق رؤية السياسة الامريكية من اعتبار أحداث ١١ سبتمبر نقطة انطلاق من أجل تغيير النظام الدولى، والتغيير المتصور هنا هو تغيير فى قواعد

(١) د. منير بدوى : الدور الإقليمى لمصر .. إشكالية المصالح الوطنية أولاً .. الدور الإقليمى لمصر فى مواجهة التحديات الراهنة .. مركز البحوث والدراسات السياسية— كلية الاقتصاد والعلوم السياسية .. جامعة القاهرة .. تحرير د. نادية محمود مصطفى ٢٠٠٢ .

إدارة العلاقات الدولية، وتغيير فى أنظمة بعض الدول أو الوحدات التى تشكل عضوية النظام الدولى، وعلى النحو الذى يكرس أحادية القطب الأمريكى، وهذه الرؤية لا تقر بسياسة الاحتواء، ولا بتوازنات القوى، كما أنها لا تقدس القواعد القانونية التى قامت عليها حركة العلاقات الدولية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية.

وانطلاقاً من هذه الرؤية .. تدخلت الولايات المتحدة عسكرياً لإسقاط نظام طالبان فى أفغانستان ونظام صدام فى العراق ومن قبلهما نظام ميلوسوفيتش فى صربيا .

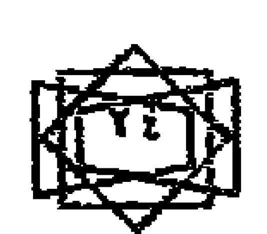
ويعتمد تنفيذ رؤية التغيير سالفة الذكر بالأساس على القوة الأمريكية، أو بالأحرى على التفوق العسكرى الأمريكى، والتفوق الواضح فى القوة الاقتصادية، مع توظيف عناصر أخرى، مثل: المخابرات والقوات الخاصة وأدوات الإعلام والقوة الناعمة، فضلاً على تطوير أداة المساعدات بتوجيهها لتحقيق هدف التغيير(٢).

وبالرغم من النجاح الأمريكي في احتكار ترتيبات الأمن في الخليج بحكم ما تمتلكه واشنطن من أساطيل وقواعد بالمنطقة, وبحكم تحولها من قوي عظمي إلي قوة عالمية, إلا أن السنوات الخمس الأخيرة شهدت تحركاً من طرفين أساسيين للقيام بدور في هذه الترتيبات، وهما: –

الأول : حلف شمال الأطلنطي, فبعد تعديل المادة الخامسة من الاتفاقية المؤسسة له، وهو التعديل الذي سمح لقواته بالقيام بعمليات خارج دول الحلف, مما سمح لهذه القوات بالتدخل في البلقان ثم أفغانستان، فقد اتجه الحلف نحو الخليج, وبلور الفكرة فيما يعرف بمبادرة اسطنبول التي طرحت في قمة الحلف

---

(٢) د. مصطفى علوى : البيئة الدولية وخصائص النظام العالمى.. المخاطر والفرص ، كتاب الدور الاقليمى لمصر فى مواجهة التحديات الراهنة – المحرر د. نادية مصطفى – مركز البحوث والدراسات السياسية – كلية الاقتصاد والعلوم السياسية – جامعة القاهرة – ٢٠٠٣



بتركيا عام٢٠٠٤ وتهدف إلي إسهام الحلف في تحقيق الأمن الإقليمي والدولي بعيد المدي من خلال التعاون الثنائي مع دول الشرق الأوسط الموسع, وقد دعا الحلف دول الخليج الست للاشتراك في هذه المبادرة إلا أن السعودية وسلطنة عمان رفضت الفكرة.

وتتبع خطورة هذا التعاون من كونه يفتح آفاقاً للتعاون مع إسرائيل باعتبارها إحدي دول الشرق الأوسط الموسع, إضافة إلي أن دول الخليج نفسها لا يوجد بينها أي تنسيق في هذا المجال خاصةً أن التعاون يتم على أساس ثنائي.

أما الطرف الثانى فكان فرنسا التي طالبت بالمشاركة في أمن الخليج، حيث اتفقت مع لإمارات على إنشاء قاعدة عسكرية بها عام ٢٠٠٤[٣].

<u>ثانيا : البيئة الاقليمية:</u>

يعتبر النظام العربى من أكثر النظم الاقليمية اختراقاً من قوى دولية وأخرى اقليمية، فى ظل تداعيات احتلال العراق للكويت واحداث ١١ سبتمبر واحتلال العراق، الذى يعد سابقةً في تاريخ أمريكا بالمنطقة، وهو ما أطلق عليه الدكتور بهجت قرنى "الانكشاف الإستراتيجى للوطن العربي"، سواء بالنسبة للدول العربية فرادى أو كنظام عربى. ونسوق فيما يلى بعضاً من ملامح البيئة العربية والإقليمية التى من المفترض أن تمارس مصر دورها الإقليمى من خلالها :

١- أصاب احتلال العراق للكويت فى اغسطس ١٩٩٠ النظام العربى بأضرار بالغة وخسائر جسيمة، وعمق حالة الشك المتبادل وعدم الثقة فى العلاقات العربية – العربية، وزاد من حدة الهواجس والمخاوف الأمنية لدى الدول العربية الصغيرة، مما أسهم فى انتفاء مفهوم الأمن القومى العربى، حيث لم يعد هناك حد أدنى من الإتفاق العربى حول مصادر التهديد الرئيسية لهذا الأمن

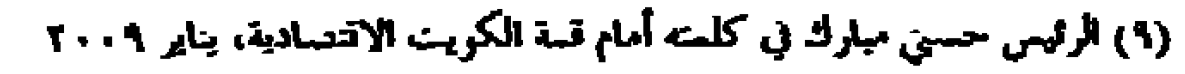
---

(٣) على الدين هلال – نعم: مصر دولة خليجية – الأهرام يوم٢١/٣/٢٠٠٩

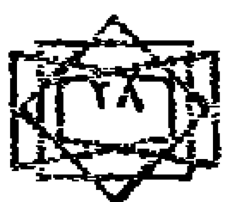
ولذا فإن الرئيس مبارك يصف عالمنا العربى بأنه: "يعيش مرحلةً عصيبةً ويتعرض لمخاطر وتحديات عديدة .... وما تشهده الساحة العربية من تشرذم ومزايدات ومحاور وما يتنازعها من محاولات- تأتى من داخلها وخارجها - للعب الأدوار وبسط النفوذ وتمعن فى شق الصف العربي وإضعافه.... من المؤسف أن يعمل البعض على تقسيم العرب بين (دول الاعتدال) و(دول الممانعة) كأننا لا نتعلم من أخطاء الماضي ودروس التاريخ القريب، وكأننا نعود بالعالم العربي ثلاثين عاماً إلى الوراء. هل هي عودة لــ(جبهة الرفض) خلال سبعينيات القرن الماضي ..... إن العلاقات العربية - العربية ليست فى أحسن أحوالها، والعلاقات بين الإخوة الأشقاء لابد أن تقوم على الوضوح والمصارحة، وتطابق الأقوال والأفعال. لا مجال في هذه العلاقات للالتواء والتطاول ولا مجال للتخوين وسوء القول والفعل والتصرف، وكأننا نعود بعالمنا العربي إلى الوراء بدلا من أن ندفع به معاً إلى الأمام...... أن الوضع العربي الراهن بانقسامه وخلافاته ومحاوره لابد أن يتغير، واثقاً أن الخلافات العربية- أياً كانت - لا تستعصي على الحل بالجهود المخلصة والعزيمة الصادقة، فهي فى النهاية خلافات بين أشقاء. وكعهد مصر مع أشقائها عبر عقود طويلة فإنها ستبذل أقصى طاقتها لرأب الصدع العربي الراهن، ولتضع نهاية للخلافات العربية القائمة، كي نلتقي جميعاً حول ما يجمعنا، لا ما يفرق شملنا"(٩).

ثالثاً : البيئة المحلية :

قام الدور المصري في مراحله السابقة على ثلاثة عناصر رئيسية هى: قوة عسكرية، ودور ثقافي كانت تلعبه من خلال الصحافة والمجلات الرائدة وجامعاتها، فضلاً عن أن المؤسسة التعليمية القوية التي كانت المنبع الأساسي للتعليم في كل المنطقة العربية، ولكن ما حدث أن هذه العناصر الثلاثة طرأت عليها تحولات أساسية، وأصبح هناك تغيرات جديدة تحكم طبيعة دورها العربي والإقليمي.



(٩) الرئيس حسني مبارك في كلمته أمام قمة الكويت الاقتصادية، يناير ٢٠٠٩



رابعاً : رؤى القوى الدولية والاقليمية لدور مصر

١- رؤية الولايات المتحدة :

تنطلق رؤية الولايات المتحدة لمصر فى ظل هذه البيئة الجديدة من رؤيتها لمنطقة الشرق الأوسط، وتمثل هذه الرؤية ما يطلق عليه (العالم العربى الجديد) من وجهة النظر الأمريكية، والذى تتمثل أهم ملامحه فيما يلى:

أ- على العرب القيام بدور فاعل لتحقيق السلام بينهم وبين اسرائيل.

ب- ان السعى لتحقيق السلام يتطلب رفض الإرهاب بغض النظر عن مبرراته ودوافعه، وعلى الدول العربية الالتزام باتخاذ إجراءات عملية وبكافة السبل لقطع أى نوع من المساعدات للجماعات الإرهابية.

ج- المساعدة فى قيام عراق جديد يتمتع شعبه بالحرية والديمقراطية، وخال من أسلحة الدمار الشامل، وأن يكون على علاقة سلام مع جيرانه ومع العالم.

د- حث دول المنطقة على فتح أسواقها للتجارة ومشاركة الولايات المتحدة فى إنشاء منطقة تجارة حرة بينها والشرق الأوسط.

هـ- أهمية المؤسسات الديمقراطية والمشاركة السياسية فى تحقيق آمال شعوب المنطقة وإطلاق قدراتها الكامنة، ون الولايات المتحدة سوف تقوم بمساعدة الدول التى تنتهج هذا الطريق(١٠).

وتشير القراءة الأولية للتقارير والآراء السابقة الى ما يلى:

أ- ان مصر في حاجة إلى توسيع دورها الإقليمي في عيون أميركا والعالم بحيث لا يقتصر على التحكم في الأنفاق المؤدية إلى غزة والمفاوضات بين إسرائيل والفلسطينيين كما يبدو في رأى الكونجرس حالياً، فتوسيع دور مصر الإقليمي والدولي وهو مطلب سائد في الأدبيات المصرية والعربية المعنية.

ب- أن قضية الإصلاح الديمقراطي محورية داخل مصر وخارجها، وبدون إصلاح ديمقراطي حقيقي سوف تعاني مصر داخلياً وخارجياً بشكل يصعب علاجه.

---

(١٠) د. محمد كمال: رؤية الولايات المتحدة للدور المصرى فى الاستراتيجية الامريكية- الدور الاقليمى لمصر فى مواجهة التحديات الراهنة- المحرر د. نادية مصطفى - مركز البحوث والدراسات السياسية - كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة - ٢٠٠٣

ج- أن تعافي مصر اقتصادياً واستمرار نموها ضرورة لبناء دور إقليمي ودولي أقوى، فالاقتصاد دعامة أساسية للنفوذ السياسي والإستراتيجي، ومع المساعدات الأجنبية تأتي الأطماع والشروط.

د- هناك حاجة لدبلوماسية مصرية أقوى في واشنطن وحول العالم وذلك لانشغال الكونجرس بالدعاية للمصالح الإسرائيلية واهتمامه فقط بالضغوط التي يتعرض لها من اللوبى الصهيونى فى واشنطن(١١).

٢- رؤيـــة إسرائيـــل :

ترى وجهة النظر الإسرائيلية أن دور مصر الاقليمى، رغم تراجعه مقارنةً بالقوى الإقليمية الأخرى، ما زال قادراً على التأثير فى التفاعلات الإقليمية فى المنطقة ولكن دورها، سينحصر فى إطار القيام بدور المعرقل لأية تسوية أو ترتيبات إقليمية جديدة، ترى مصر أن من شأنها المساس بدورها التقليدى فى قيادة المنطقة العربية، وذلك انطلاقا من فرضية أن تحقيق التسوية السلمية في المنطقة من شأنه إنهاء الدور المصري في الشرق الأوسط، وهو ما يعترض عليه الجانب المصري، بأن دور مصر الإقليمي يتجاوز كثيراً مسألة تحقيق السلام، إلى أدوار أخرى مثل دور الوسيط الاقليمى وقائد عملية التكامل.

والثابت أن إسرائيل استغلت أحداث سبتمبر وما تلاها من متغيرات لتكرس تراجع الدور المصري في المنطقة، خاصةً دورها فيما يتعلق بعملية السلام، حيث كانت مصر تميل دائماً إلى تأييد وجهة النظر الفلسطينية، وجاءت تلك الأحداث لتخلق واقعاً عالمياً جديداً، رأت فيه اسرائيل فرصةً لتهميش الدور المصري وتجاوزه، عبر توظيف الحملة الأمريكية ضد الإرهاب لخدمة الأهداف الإسرائيلية الاستراتيجية المتمثلة في فرض تسوية للصراع العربى الاسرائيلى دون مراعاة لمصالح الأطراف الأخرى، وهو ما لا يمكن حدوثه فى ظل دور إقليمى قوى لمصر(١٢).

---

(١١) علاء بيومي- العلاقات المصرية الأمريكية في عيون الكونجرس الأمريكي- ١٥/٨/٢٠٠٩

(١٢) عبدالله صالح - الدور الإقليمي لمصر ومعضلة 'الشقيقة الكبرى' ٢٨/٥/٢٠٠٤



٣- رؤيــة إيــران :

تتحرك إيران في دائرتين .. **الأولى**: هي الخليج وآسيا الوسطى والهند وباكستان وتركيا وهذا هو النطاق الجغرافي المُباشر لإيران مما يعني غلبة الصبغة الإسلامية على هذا النطاق الجغرافي، **والدائرة الثانية**: تشمل القرن الأفريقي وجنوب شرق آسيا وشرق أوروبا ودول الشام، وهذه الدوائر تعني تنوع فرص الاختراق المصري لإيران في تلك المناطق، كما تتقاطع دوائر التحرك الإيراني مع مصر في الخليج العربي ودول الشام والقرن الأفريقي .

وتحيط إيران بمصر من ثلاث جبهات دول الخليج بالدرجة الأولى والسودان بالدرجة الثانية، وفلسطين والأردن ولبنان بالدرجة الثالثة وهى جبهات تدخل في نطاق الأمن القومي المصري، وتستخدم ايران الاقتصاد بالدرجة الأولى والناحية المذهبية والثقافية بالدرجة الثانية ثم الناحية السياسية بالدرجة الثالثة كآليات وأدوات في تحقيق طموحها، بمعنى أن إيران بعد عام ١٩٨٩ أدركت أن مبدأ تصدير الثورة والتدخل السياسي يُجهض المشروع الإيراني ولذا قدمت العامل الثقافي والعامل الاقتصادي على العامل السياسي والأمني والعسكري(١٣).

وترى ايران في الدور المصري تهديداً لمشروعاتها وخططها في المنطقة، وذلك هو السبب الأساسي وراء إفشال الحوار الفلسطيني في القاهرة عبر "حماس" التي صرحت أخيراً بأن الحركة لا تريد لمصر أن تستمر في رعايتها للحوار، وأنها تفضل قطر، لأن نجاح مصر في تحقيق المصالحة الفلسطينية يعد نجاحاً باهراً للدور الإقليمي المصري، وذلك لا يصب في مصلحة إيران فعودة مصر تعني انكماش وانحسار دور إيران(١٤).

---

(١٣) د. مدحت حماد، العامل الإيراني وتأثيره المحتمل على الدور الإستراتيجي لمصر.. المركز الدولي للدراسات المستقبلية .. مرجع سابق .

(١٤) عبد الحميد الأنصاري - من أجل دور إقليمي عربي فاعل - صحيفة "الجريدة" الكويتية- ٢٠٠٨/١١/٢٤

٤- رؤية بعض الدول العربية :

يرى الدكتور مصطفى الفقى أن "هناك ما يشير إلي تهاوي الصدق القومي واحترام هيبة الدولة النموذج التي علمت وطببت وبنت في مختلف الاقطار العربية", ويطرح أبرز عناصر هذه الرؤية من خلال **الملاحظات الآتية:**

أ- ان هناك نوعاً من الغيرة المكتومة لدي بعض الاشقاء تجاه الشقيقة الكبري التي حملت شعلة التنوير لأكثر من قرنين من الزمان, وبدلاً من أن يسعد بعضهم ذلك الدور الفاعل للشقيقة لها, انصرفوا للحرب الإعلامية وخلطوا بين عدائهم للسياسة والحكم في مصر وبين كراهيتهم الكامنة لمصر الدولة والكيان والحضارة!.

ب- عندما يتعامل البعض مع مصر تطفو علي السطح غيرة قومية كامنة وشعور بالتضاؤل في مواجهة بلد اشتغل عبر تاريخه كله بصناعة الحضارات ونشر الضياء وتقديم العطاء لكل من لجأ إليها أو لاذ بها.

ج- أن مصر بلد كبير ليس بمعني الحجم السكاني ولا المساحة الجغرافية, ولكن بمنطق النضوج الإنساني والعمق الحضاري, لذلك يستمرئ البعض التهكم عليها والتطاول علي مقامها إدراكاً منهم بأن ردود فعلها عاقلة متزنة, فمصر اختزنت عبر تاريخها العريق تجارب الإنسان كلها وعبرت مراحل المراهقة السياسية والاضطراب الفكري، لكنه واهم من يتصور أن مصرــ بصبرها وتعقلها ــ عاجزة عن اتخاذ مواقف يشعر بها الجميع ويرتدع بها البعض، فمصر كيان دولي مسموع يستطيع أن يجرح إذا أراد, وأن يصيب إذا غضب, ولكن العروبة والإسلام وشراكة الدم الواحد تمنع مصر من الغلواء, وتنتزع من قلبها روح العداء ونوازع الحقد(١٥).

---

(١٥) د.مصطفى الفقي - العرب ومصر.. المسكوت عنه ...الاهرام - ٢٠٠٩/١٢/١

الفصل الثالث
إعادة هيكلة دور مصر الإقليمى وطبيعته الجديدة

تناول الفصل السابق التغييرات الكبرى التى شهدتها البيئة الدولية والاقليمية والمحلية الجديدة ، والتى من المحتم على مصر أن تأخذها فى الاعتبار، وتضعها فى الحسبان عند التفكير بالقيام بدورها الإقليمى، فلكل عصر أوضاعه ومتغيراته وعلاقاته وهياكله، ومن ثم يجب أن يكون له لغته ومواقفه وسياساته، فعالم اليوم غير عالم الخمسينيات والستينيات، وإقليم اليوم غير إقليم الأمس، حيث تغيرت توازنات القوى وتبدلت المصالح، ومن شأن كل ذلك أن يفرض تغييراً فى مفهوم الدور الإقليمى وفى محتواه .

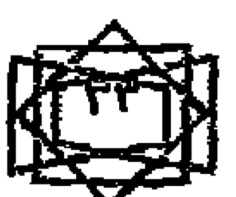
ويتناول هذا الفصل كيف تم إعادة هيكلة دور مصر التاريخى بطبيعة جديدة استجابةً لهذه المتغيرات الفاصلة .

أولاً : الموروث التاريخي لدور مصر الاستراتيجي :

تؤكد الخبرة التاريخية أن قيام مصر بدورها الإقليمى عسكرياً، خاصةً فى نطاق دائرته العربية المركزية، كان دائماً ما ينعكس على مصالح القوى الدولية الرئيسية، ومؤدياً إلى صدام غير متكافئ بين مصر وهذه القوى عبر مراحل تاريخية متصلة (تجربة محمد على وجمال عبد الناصر). ومن ثم أصبحت الإشكالية التى تواجهها فى القيام بدورها الإقليمى هى كيفية الوصول إلى علاقة تتيح لها القيام بهذا الدور وتوجيهه دون أن تستفز القوى المهيمنة عالمياً إلى حد المواجهة المباشرة والصدام المسلح[1].

---

(١) د. حسن نافعة : "انعكاسات تجديد المشروع القومى على مكانة مصر العالمية " ، فى مصر ومشروعات النظام الاقليمى الجديد فى المنطقة – مركز البحوث والدراسات السياسية – جامعة القاهرة ١٩٩٧



فبعد أن وصلت جيوش محمد على إلى كوتاهية وأصبحت تهدد الاستانة نفسها؛ تدخلت الدول الأوروبية وأجبرته على توقيع صلح كوتاهية عام ١٨٣٣، فانسحب عنوة ولم يبق معه سوي سوريا وجزيرة كريت. وفي سنة ١٨٣٩ حارب السلطان العثمانى لكنهم أجبروه علي التراجع في مؤتمر لندن عام ١٨٤٠ بعد تحطيم أسطوله في موقعة نفارين البحرية. وفرضوا عليه تحديد أعداد الجيش والاقتصار على حكم مصر لتكون حكماً ذاتياً يتولاه من بعده أكبر أولاده سناً. على أن تكون جزءًا من الدولة العثمانية وأن تدفع الجزية سنوياً للسلطان وألا يزيد جيشها عن ثمانية عشر ألفا وألا تبنى سفناً حربيةً[٢].

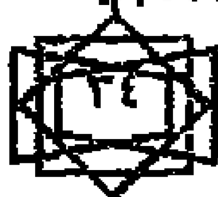
وهكذا خسرت مصر ثلاثين ألف جندي، وفقدت معظم أسطولها البحري، بعد الضربة التي أنزلها التحالف الأوروبي بأسطولها في موقعة نفارين البحرية سنة ١٨٢٧م، فأحجم محمد علي باشا والي مصر عن الاستمرار في مجابهة الأوروبيين، وانتهت الحملة المصرية على بلاد الشام بتصفية أعداد كبيرة من قوتها العسكرية، وانصرف محمد علي بعد معاهدة لندن إلى معالجة الشئون الداخلية بنفسه، ولم يبق له غير مصر والسودان ميداناً لنشاطه، فأنشأ بنكاً للدولة، وعمل على استكشاف منابع النيل، ووضع حجر الأساس للقناطر الخيرية، وأرسل كثيراً من البعثات الدراسية إلى أوروبا[٣].

أما عن تجربة الدور الاقليمى المصرى فى عهد جمال عبد الناصر يشير المؤرخون العسكريون المصريون إلى حرب اليمن بأنها فيتنام مصر. فبحلول عام ١٩٦٧، كان هناك ٥٥,٠٠٠ جندي مصري مرابطين في اليمن، من ضمنهم الوحدات الأكثر خبرة وتدريباً وتجهيزاً في كل الجيش. وبالرغم من قتالهم العنيد ضد الفصائل الملكية، إلا أن غيابهم عن أرض الوطن خلف فجوة في الدفاعات المصرية. وقد أثر ذلك كثيراً على الحاق الهزيمة بمصر خلال حرب يونيو ١٩٦٧، واحتلال شبه جزيرة سيناء وإغلاق قناة السويس، واستشهاد ١٢٠ ألف جندى وتهجير الملايين من سكان مدن القناة .

---

(٢) إصلاح أم تحديث؟ مصر في عهد محمد علي ــ تحرير رؤوف عباس ،القاهرة :المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٠.

(٣) عبد الرحمن الرافعي: عصر محمد علي – الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ٢٠٠٠م.



فموروث الستينيات مازال قائماً، ويتحكم في الكتلة الرئيسية من الرأى العام. وقد لعب جمال عبد الناصر هذا الدور عبر الصراع ما بين المعسكرين، وعبر الفكرة التي يُسميها (مايلز كوبلين) تشكيل ما يُسمى بإتحاد المُحايدين الإيجابيين لابتزاز أحد المُعسكرين بالخارج. انطلاقاً من فكرة أننا عندما ننحصر داخل حدودنا نضعف، وعندما نتجه إلى الخارج نقوى، فهذه الفكرة تُعتبر قراءةً صحيحةً للتاريخ، ولكنها في كل مرة كانت تأخذ سمة عصرها وهذه هي المشكلة التي نواجهها الآن، ففي واقع الأمر المُعسكرين انتهيا واللعبة التي لعبها جمال عبد الناصر لم تعُد من المُمكن تكرارها، فكل هذه القوة التي كانت تساعد في تعزيز دور مصر الإقليمي لم تعُد موجودةً على الساحة(٤).

ورغم ذلك فهناك من ينادي بالنضال ولكن على حساب الآخرين، ففي أثناء حرب لبنان أثناء المظاهرات سواء في مصر أو في دول الخليج كان هناك من يطلب بدور للجيش المصري دون استخدام سلاح البترول في دول الخليج من أجل وقف الحرب، ولدينا شعوب تريد من يخدعها، ففى أثناء العمليات العسكرية الإسرائيلية ضد لبنان لم يقتنع البعض بتصريحات الرئيس مبارك حول عدم إرسال الجيش المصري في أي مغامرات غير محسوبة وفي غير صالح مصر، حيث أراد هؤلاء أن يسايرهم الرئيس في تصريحاته لإيهامهم بوجود دور إقليمي لمصر في المنطقة العربية، وذلك بغرض إعطاء شحنة ودفعة معنوية للجماهير العربية(٥).

كما أن الرأي العام أحياناً يطالب بدور تخيلي للدولة وهو غير مدرك لأبعاد القيام بهذا الدور وتطوراته، ورغم أن الدولة قد لا تكون مستعدة أو مهيأة لأن تلعب هذا الدور، فان الاتهام جاهز بأنها تخلت عن الدور وتراجعت، وما إلى ذلك من المصطلحات التي تصب جميعها فى انحسار الدور المصرى(٦).

---

(٤) صلاح عيسى، المركز الدولى للدراسات المستقبلية الاستراتيجية – ٢٠٠٧

(٥) صلاح عيسى، مرجع سابق

(٦) د. عادل سليمان، المركز الدولى للدراسات المستقبلية – مرجع سابق

لذا يجب التخلى عن فكر مجتمع البطولة والتضحية بالذات، وأن تقييم الإنجاز مرتبط بأن هذا المقاتل قد أبدى شجاعة باسلة في مواجهة العدو ثم استشهد، ثم قام العدو باحتلال الأرض وفرض إرادته علينا . ولكننا نمجد البطولة في حد ذاتها .

ويرى الكثيرون ضرورة التوقف لمراجعة هذا الفكر في الثقافة المجتمعية لأن العالم انتقل فيما يتعلق بالمسائل العسكرية من هذه المرحلة إلي مرحلة التقنية والاحتراف العسكري والتطور العلمي التكنولوجي في بناء الجيوش وليس مرحلة البطولة والتضحية بالذات التي أصبحت سائدةً في المجتمعات العربية، وقد كان لهذا الفكر مبرراته في المراحل السابقة وله جذوره التاريخية عندما كانت القبائل تتقاتل، فكانت كل قبيلة تقدم أفضل فرسانها لمواجهة أفضل فرسان القبيلة الأخرى والفارس الذي ينتصر يكون قد انتصر لكل قبيلته، فجميع هذه الأفكار لها جذورها ويجب أن نقاومها بشدة لأننا نشاهد تطوراً تكنولوجياً عالمياً في منتهى الخطورة يسود العالم كله ونحن للأسف بعيدين عنه بشكل كبير[٧].

ثانياً : الثابت والمتغير في دور مصر الإقليمي:

١- ثبـات الـــدور :

فى ظل الظروف الدولية والإقليمية الجديدة، أعادت مصر هيكلة دورها الإقليمي، فهيكلة الدور لا تؤدى إلى انتهائه ولكن إلى ترتيب عناصره لزيادة كفاءته أو تغيير موضوعاته لزيادة قدرته على المناورة، ولكن ليس إلى انتهائه[٨]. لذا فدور مصر هنا تغير فى طابعه وليس فى حجمه أو أهميته، أما دورها الاقليمى فهو ثابت ودائم ومستمر **للأسباب التالية** : –

---

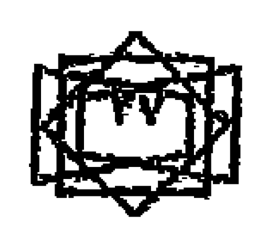
(٧) د. عادل سليمان، المركز الدولى .. مرجع سابق

(٨) هلال وقرن.. والسياسات الخارجية العربية، د.جهاد عودة – المصـرى اليـوم- ١٢/ ٣/ ٢٠٠٩

أ- إن مسألة الدور ليست بدعةً استراتيجيةً, أو نوعاً من الفانتازيا السياسية, ومن الخطأ أن يربط أعداء مسألة الدور المصري بين رؤاهم الناقصة والعصر الناصري تحديداً, ويرون فيه المرجعية الوحيدة لقضية الدور التي يرفضونها وهم يغفلون, عمداً أو سهواً, شخصية مصر التاريخية, فهي بلد بضاعته الدور الإقليمي.

ب- إن مراجعة أهمية الدور المصري في المنطقة خلال السنوات العشرين الأخيرة تؤكد أن الدور المصري, شمس لا تغيب, قد تحجبها بعض الغيوم أحياناً, وتغطيها سحب صيف أحياناً أخرى, لكنها تظل ساطعةً أبداً لا تحتجب.

ج- إن الذين يتحدثون عن تواري الدور المصري إنما يربطون ذلك باتفاقيتي كامب ديفيد ومعاهدة السلام المصرية ــ الإسرائيلية, وهم يفسرون كل أحداث المنطقة وحقائق الحياة بذلك الحدث الذي مضت عليه الآن قرابة ثلاثين عاماً, وينظرون إلى التوجه المصري نحو السلام الذي أصبحت تشاركها فيه كل الدول العربية بغير استثناء, ويربط دعاة هذا الرأي بين ريادة مصر لطريق التسوية السلمية, والاستقرار الإقليمي, وحديثهم المتكرر عن عدم جدوى الدور المصري وتراجع أهميته, بينما مصر التي منيت بالهزيمة عام١٩٦٧ وبدأت سنوات النكسة التي لاتزال آثارها باقيةً علي الأرض العربية حتي الآن, هي نفسها التي عانت من موجات الانتقاد التي وصلت إلى حد الشماتة, وعندما انتصرت في أكتوبر١٩٧٣ لم ينتبه الكثيرون إلى الجهد الذي قام به الجيش المصري لعبور أكبر مانع مائي, وتحطيم خط بارليف وغرس العلم المصري فوق أرض سيناء, فمصر موضع انتقاد في الحرب, ولوم على السلام!



د- إن الحديث عن وراثة الدور المصري واحتلال بدائل أخرى يفتقر إلى المصداقية والدقة, لأن الدور ليس منحة من أحد, لكنه معطي تاريخى وجغرافي لا يمكن العبث به, وهو أيضاً ليس ثوباً ترتديه مصر حين تشاء ويخلعه عنها من يريد, فالدور أكبر وأهم وأعظم من كل ذلك, فهي البوابة التي يدخل منها من يريد الوصول إلى الشرق الأوسط, ويخرج منها من تلفظه شعوبه أو نظمه، فمنها دخل الاتحاد السوفيتي السابق إلى المنطقة في العصر الناصري, وخرج من البوابة نفسها بقرار من الرئيس السادات, وكان عام ١٩٧٤ هو عام التوقيت العربي لقبول النفوذ الأمريكي في المنطقة, عندما زار الرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون مصر إيذاناً بطي صفحة الماضي, وتطلعاً لعلاقات أفضل مع الدول العربية, كما أن مصر هي قاعدة الأحلام الإمبراطورية في الشرق, سعي إليها الإسكندر الأكبر, ووفد بعده بعدة قرون نابليون بونابرت, وكلاهما مدفوع بأحلام عريضة, وآمال واسعة في إمبراطورية شرقية كبرى .

هـ- إن خفوت الدور المصري أحياناً هو قرار إرادي تقوم به الدولة المصرية بسبب ظروفها الداخلية, أو مشكلاتها الإقليمية, لكنه لا يرتب أبداً قيداً علي المستقبل, أو مصادرةً علي المطلوب, إذ أن استئناف الدور لا يحتاج لأكثر من إرادة سياسية, وأدوات بديلة, وديناميات متحركة[9] .

٢- طبيعة الدور المصرى الجديدة

وهى تتمثل فى العناصر والسمات التالية :

أ- أنه ارتكز فى العقود الأخيرة إلى عدم سعى مصر إلى مزاحمة الآخرين أو الصراع معهم حول لعب أدوار فضائية أو علاقات عامة تضر الأمة العربية أكثر مما تنفعها، لأن دورها الحقيقى هو دور مسئول وأمين وليس

---

(٩) د. مصطفى الفقي- حوار العصر.. مسألة دور مصر- الاهرام، ١٩ يونيو ٢٠٠٩

له أجندات خاصة أو ولاءات خارجية، ويصف الرئيس مبارك دور مصر بأنه "يسعى إليها بما لها من قدر ومكانة، وبما تمتلكه من قدرات وإمكانات، دور يتحدث عن نفسه، يسعى إليها ولا تسعى إليه، كحال من يتطلع إلى لعب الأدوار"[١٠].

ب- عدم وجود حل عسكرى للصراع مع إسرائيل لأن "الحرب لا تعرف الهدف ولا يمكن للحرب أبداً أن تحل قضية وحتى لو قامت حرب فسوف تتعقد المشاكل أكثر وسوف يتأثر بها الشعب الإسرائيلي كما تتأثر بها شعوب المنطقة لأنه ستكون هناك إراقة دماء ومصاريف باهظة وتدن لمستوي المعيشة أما مصر فهي دولة سلام ونحن نسعى للسلام وإذا لم نكن نسعى للسلام فلماذا إذن زار السادات إسرائيل وعمل مبادرته سنة ١٩٧٧"[١١] .

ج- التأكيد على أن القوات المسلحة هى للدفاع عن أرض الوطن فقط وعن ذلك قال الرئيس مبارك فى ١٧ يناير ٢٠١٠ بمحافظة كفر الشيخ" أن مصر استعادت أراضيها بالكامل، وخضنا طريق السلام، ونساعد على إقراره وأنه لن يتمكن أحد من استفزاز مصر للدخول فى حرب جديدة، لكنها ستخوض فقط هذه الحرب فى حالة الاعتداء على أراضيها، فالأرض هى العرض"، وعدم تدخل مصر عسكرياً فى أى شأن داخلى عربى أو إقليمى، إلا اذا كانت قوات لحفظ السلام التابعة للامم المتحدة وهو ما أكده الرئيس مبارك فى قوله (... إننا دائماً نسعى للمشاركة فى قوات حفظ السلام لأننا مقتنعون بذلك ونرى أنه لا يمكن أن تكون هناك رفاهية للشعوب وحياة مطمئنة إلا بالسلام ...) .

وتأتى مصر فى المرتبة الخامسة على مستوى العالم من إجمالى ١١٧ دولة مشاركة فى عمليات حفظ السلام، حيث تشارك بحجم قوات يتمثل فى سرية

---

(١٠) مؤتمر صحفي عالمي للرئيس مبارك بالقاهرة فى ١١ ديسمبر ١٩٩٦

(١١) مؤتمر صحفى عالمى للرئيس مبارك – المصدر السابق

مهندسين عكسريين وسرية إشارة وسرية نقل بإقليم درافور بالسودان بالإضافة إلى المراقبين العسكريين وضباط هيئات القيادة فى كل من المغرب والكونغو الديمقراطية وليبيريا والسودان وبروندوى وتشاد وإفريقيا الوسطى، وتساهم فى تقديم المعونة الطبية للدول الصديقة والشقيقة باثنين مستشفى ميداني بكل من أفغاسنتان ولبنان وقافلة طبية بإقليم دارفور.

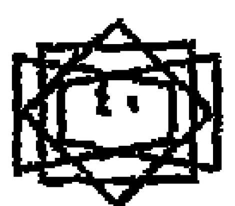
د- الدعوة إلى حل الصراع فى الشرق الأوسط حلاً سلمياً عادلاً، وضرورة تبنى كل دول المنطقة هذا الحل، "وإن مصر هي النقطة الرئيسية في تحريك عملية السلام فمصر هي التي بدأت عملية السلام ودفعت ثمناً غالياً أيضاً من أجل السلام وقاطعتنا الدول العربية لنحو عشر سنوات وتوقفت عجلة الإنتاج لمدة عشر سنوات .. فمن يقول أن مصر لا تريد السلام فهو الذي لا يريد السلام لأن جو الحرب قد يكون مفيداً له أما مصر فهي تريد الاستقرار في المنطقة ومصر معنية بالسلام في المنطقة لأنه يؤثر عليها ..إنه يجب ألا يقول إن مصر قد يكون لها دور في عملية السلام فمصر هي محور عملية السلام وهي التي بدأت عملية السلام ودور مصر لا يحتمل قد يكون أو قد لا يكون فالدور المصري قائم ولا يمكن الاستغناء عنه ... إنني أقول إن الدور الأمريكي هو الدور الأساسي في عملية السلام أما بالنسبة لتهميش دور مصر فليجعلونا نري كيف سيتصرفون بدون مصر"[١٢] .

هـ- عدم فرض مصر رؤيتها وتوجهاتها على دول المنطقة قسراً، حيث يقول الرئيس مبارك "إننا لا نهيمن ولا نسيطر، فنحن ضمن قوة عربية وضد أن نقدم الفكرة وأن نقدم النصيحة ونحن دور من بين الأدوار وليس الدور الرائد أو الدور المسيطر" عملية التسوية السلمية ودور مصر الإقليمي[١٣] .

---

(١٢) مؤتمر صحفي عالمي للرئيس مبارك – المصدر السابق

(١٣) الرئيس مبارك، قمة الكويت الاقتصادية – يناير ٢٠٠٩



و- إن مصر ليست فى تنافس أو صراع مع أحد حول الأدوار فى منطقة الشرق الأوسط "لسنا فى سباق ولسنا فى تنافس وربما نسعى لتحقيق الاستقرار والسلام.. وأن يتم التكامل بندية مع كل عواصم الشرق الأوسط، ندية قائمة على التعاون والعمل المشترك وعلى الأخوة والتوافق فى هذا الإقليم"(١٤) .

ز- تنطلق الرؤية المصرية من أن مصر كانت ومازالت تمارس دوراً قيادياً فى المنطقة، وأن الاتجاهات الرافضة لدورها المصري تستهدف تفريغ العالم العربي من جزء كبير من شخصيته، فالدور وفقاً لهذه الرؤية، يمكن أن يستمر ولكن بأدوات أخرى غير تلك التى أصابها الوهن، من خلال تطوير الثقافة، وتقديم تجربةً ديمقراطية رائدة، وطرح نموذج للدولة العصرية يقوم على مجتمع مدنى متماسك، وديمقراطية كاملة، ومساحة معقولة للمشاركة، تحتوى كافة القوى الفاعلة.

وعلى هذا فإنه إذا كانت المتغيرات العالمية والإقليمية الجديدة تحمل بعض المخاطر، فإنها تتيح فى ذات الوقت بعض الفرص، والتي يمكن الاستفادة منها لتعظيم القدرات المصرية، وتستطيع مصر أن تلعب دوراً هاماً ومؤثراً في إقليمها وفي العالم بشرط التوصل إلى منظومة من السياسات الملائمة التى تؤدى إلى علاج الخلل النسبي في موارد القوة الاقتصادية والتكنولوجية وتعظيم عناصر القوة الأخرى .

ح- قناعة مصر بأن الطريق الأمثل لخروج المنطقة من مشاكلها هو التنمية الشاملة إقتصادياً واجتماعياً، وهنا يقول الرئيس مبارك "أريد أن أقول للأمة العربية : يا أمة عربية ليس من المعقول ولا من المقبول أننا عندما تواجهنا أزمة نقول أين مصر؟، وأين اتفاقية الدفاع العربى المشترك؟، قبل أن نقول ذلك نسأل أين اتفاقية الدفاع العربى المشترك .. والتى ستؤدى إلى التنمية

---

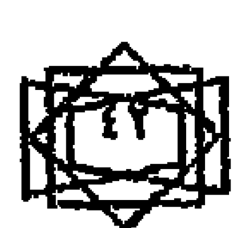
(١٤) وزير الخارجية احمد ابو الغيط – الشرق الأوسط – ٢٠١٠/١/١٥

فى كل ربوع الدول الدول العربية؟، والتنمية تعنى إقتصاداً قوياً، فإذا كان اقتصادنا قوياً نستطيع أن نتعاون وأن نتلاحم مع بعضنا البعض، وبالتالى فعندما تواجهنا أى مشكلة نستطيع أن نتكاتف ونوجهها بفاعلية وإيجابية، ويصبح من الممكن تفعيل اتفاقية الدفاع المشترك، ولكن ما دمنا لا نتعاون، وما دامت التجارة العربية البينية لا تزيد على ٨% فكيف تكون اقتصاديتنا قوية؟ فالاقتصاد الضعيف لا يستطيع أن يتحمل نقل قوات، كما لا يستطيع أن يجعل دولة عربية تساعد دولة أخرى لعدم وجود استثمارات بالقدر الكافى، فالدول العربية تستثمر أموالها فى أوروبا وفى أمريكا وتوفر لمواطنيها بهذه الاستثمارات وظائف وفرص عمل، على الرغم من أن كل الدول العربية وليس مصر فقط لديها بطالة، إذن فالاستثمارات والمشروعات المشتركة ليست فى مصر فقط، بل وفى جميع الدول العربية ستعود بالفائدة على الجميع"[١٥] .

ط- تركيز الدور المصرى على مكافحة الإرهاب، فمصر من أوائل دول العالم الحر التي وقفت بقوة ضد الإرهاب بكل صوره وأشكاله، وأعلنت ان الإرهاب ليس له وطن محدد أو دين بعينه، لذا كانت أول من دعت إلي عقد مؤتمر دولي لمكافحة الإرهاب تحت رعاية الأمم المتحدة من خلال المبادرة التى أطلقها الرئيس مبارك أمام الجمعية البرلمانية لمجلس أوروبا في ٢٨ يناير ١٩٨٦.

---

(١٥) السيد الرئيس محمد حسنى مبارك – جريدة الأهرام ٢٠٠٣/٤/١٦



<u>ثالثاً : دور مصر المعاصر فى القضايا العربية والاقليمية</u>

<u>١- دور مصر والقضية الفلسطينية</u>

من خلال استعراض دور مصر ومواقفها إزاء قضية فلسطين عبر أكثر من نصف قرن يمكن رصد الملاحظات الآتية(١٦) :

أ- كانت مصر أول من أدرك خطورة ما يجري في فلسطين وآثاره على المنطقة العربية وعلى علاقات شعوب هذه المنطقة بالعالم الغربي، وعلى مستقبل العلاقة بين الحضارتين الغربية والعربية الاسلامية .. وهي أمور أثبتت الأحداث صدقها فى عقود تالية .

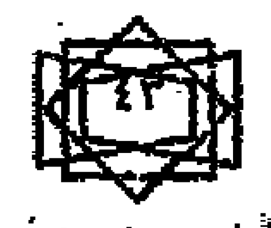
ب- الأمن القومي المصري لا يتوقف في هذا السياق على طبيعة العلاقات المصرية - الإسرائيلية/الفلسطينية بل يقوم على حقيقة جغرافية ثابتة هي أن الأرض الفلسطينية/الإسرائيلية أرض متاخمة للحدود المصرية، وبالتالي فإن ما يجري فيها ينعكس بشكل مباشر على الأمن القومي المصري، فضلاً عن انعكاسه على الحياة اليومية للمواطن المصري، بالإضافة إلي العوامل التاريخية والنفسية بطبيعة الحال(١٧).

ج- هناك التزام مصرى ثابت فى مساندة قضية فلسطين خاصةً بعد أن تم تحرير الأرض المصرية، وتوجه الجهد السياسى والدبلوماسى إلى مساندة الموقف الفلسطينى، حيث ساعدت مصر فى إجلاء القيادة الفلسطينية عقب محنتها فى لبنان فى الاتفاق الأردنى الفلسطينى (١٩٨٥)، وفى إعلان القاهرة لوقف العمليات الخارجية (١٩٨٥)، وفى الانتفاضة الأولى (١٩٨٧)، وفى إعلان الدولة الفلسطينية (١٩٨٨) وفى بدء الحوار الأمريكى الفلسطينى، ثم فى مشاريع ومبادرات التسوية (١٩٨٩)، فى مؤتمر مدريد (١٩٩١) وأيدت

---

(١٦) السفير محمد بسيوني .. تطور المشكلة الفلسطينية الدلالات الاستراتيجية والأدوار الإقليمية والموقف المصرى .. المركز الدولى للدراسات المستقبلية والاستراتيجية .. ٢٠٠٦

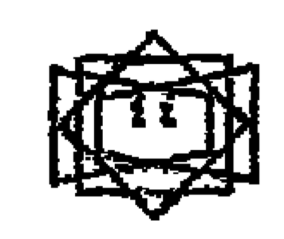
(١٧) مصطفى الفقى : ندوة "كيفية تطوير القمة العربية لخدمة القضايا العربية" التى نظمها مركز الدراسات الإستراتيجية بالأكاديمية العسكرية العليا بوزارة الدفاع السورية فى دمشق .



اتفاق أوسلو عام ١٩٩٣، وقامت برعاية العديد من الاتفاقات التنفيذية له فى القاهرة وطابا وصولاً إلى الانتفاضة الثانية حيث استضافت مصر القمة العالمية فى شرم الشيخ ثم مفاوضات طابا وقامت مصر بسحب سفيرها من إسرائيل نتيجة الإفراط الإسرائيلى فى استخدام القوة ضد الفلسطينين، وساندت الموقف الفلسطينى دولياً، وقامت برعاية الحوار الفلسطينى/الفلسطينى وتبذل كل جهد من أجل ضمان الإنسحاب من الأراضى الفلسطينية بدءاً من غزة، وبدء مفاوضات جادة للتسوية.

د- أن الحل العادل لقضية فلسطين هو هدف مصر وجوهر دورها وسياستها.. ورغم تغير ظروف وتوازنات الصراع محلياً وإقليمياً ودولياً من مرحلة لأخرى، واستحالة تحقيق العدالة المطلقة فى بعض هذه المراحل، إلا أن دعوة مصر تركزت على إيجاد حل عادل يراعى حقوق ومصالح جميع الأطراف، والتزمت بإطار الشرعية الدولية وقرارات الأمم المتحدة كإطار مناسب للحل العادل، وضربت المثل بالإلتزام بكل ما وقعت عليه من معاهدات واتفاقات بدءاً من اتفاق الهدنة إلى معاهدة السلام مع إسرائيل .

هـ- أن مصر أقامت شبكة علاقاتها الدولية على مدى عقود طويلة إستناداً إلى المواقف الدولية من قضية فلسطين، فكانت علاقاتها تتحدد إيجاباً وسلباً بمواقف المجموعات والقوى الدولية إزاء قضية فلسطين .. وعلى هذا الأساس كان مسار علاقاتها بالقوى الكبرى فى الشرق والغرب خلال فترة الحرب الباردة .. ولنفس الغرض كان النشاط الواسع والمكثف للدبلوماسية المصرية فى التجمعات الدولية المختلفة كحركة عدم الإنحياز والمجموعة الأفريقية وفى آسيا وأمريكا اللاتينية وغيرها. وفى الوقت الراهن تستثمر مصر وزنها الدولى وشبكة علاقاتها المكثفة بكل الدول والقوى والمجموعات الدولية من أجل مساندة الحق الفلسطينى والتوصل إلى تسوية عادلة للقضية الفلسطينية .

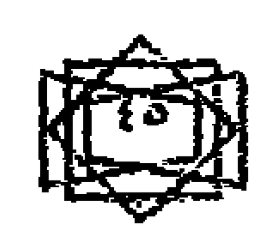


و- أن مصر جندت إمكانياتها وقدراتها الكاملة فى كل مرحلة من مراحل الصراع من أجل فلسطين واتخذ دورها أشكالاً متعددة بحسب ما تتطلبه كل مرحلة . ففى مرحلة الصدام العسكرى (١٩٤٨-١٩٧٣) كانت مصر المقاتل الأول وسخرت مواردها وفقدت عشرات الآف من شبابها فى ٥ حروب ضارية هى حرب ١٩٤٨، وعدوان ١٩٥٦، وعدوان ١٩٦٧، وحرب الاستنزاف ثم حرب التحرير فى أكتوبر ١٩٧٣وخلال هذه المراحل انفتحت مصر على كل الجهود والمبادرات التى قد تؤدى إلى حل عادل.

ز- اقتحمت مصر غمار التسوية السلمية عقب حرب أكتوبر ١٩٧٣ على أساس قرارات الأمم المتحدة، ولم تكن المعركة السلمية أقل ضراوةً، وفى كل مراحلها كانت التسوية الشاملة هى هدفها، وكان الحل العادل لقضية فلسطين هو جوهر أى بحث فى الحل الشامل.. فدعيت الأطراف العربية بما فيها الطرف الفلسطينى إلى مفاوضات القاهرة، وجاء نص كامل عن مراحل التسوية للقضية الفلسطينية فى إطار معاهدة كامب ديفيد.

ح- لم تقدم مصر فى كل مراحل القضية نفسها بديلاً عن الفلسطينيين شعباً أو قيادةً، ولم تتحدث باسمهم، بل ساعدت على وجود ممثلين معترف بهم للشعب الفلسطينى، ثم تمكين هذه القيادة من المشاركة فى كل مراحل القضية صراعاً وتسويةً .

ط- أن مصر تساند بقوة الموقف الفلسطيني الرافض للتوسع الإستيطاني الإسرائيلي وبناء الجدار الفاصل وتؤكد على ضرورة إزالة المستوطنات الإسرائيلية في الأراضي الفلسطينية المحتلة، ووقف الإجراءات التي تهدف إلى تهويد مدينة القدس وعزلها عن محيطها العربي في الضفة الغربية، كما تحرص مصر على الوحدة الوطنية الفلسطينية وتؤكد على أهمية بلورة موقف فلسطيني موحد يتمسك بالثوابت ويحافظ على الدعم الدولي، كما تحرص على التأكيد على أهمية التنسق والتعاون بين مؤسستى الرئاسة والحكومة الفلسطينية .



استباحة لهيبة الدولة وكرامة شعبها، ومصر شرعت فى بناء هذه الإنشاءات داخل حدودها لقطع كل أشكال التهريب غير الشرعى من مواد وأسلحة ومخدرات وأموال وكل ما يضر بأمنها القومى حتى لا تتحول حدودها إلى معابر علنية وأنفاق سرية لا تخضع لسلطة أو إدارة يخرج منها من يريد ويعود إليها من يشاء.

* أن القانون الدولى يساند حق مصر فى حماية أراضيها وحدودها وسيادتها وأمنها القومى من أى خطر محتمل. فحماية الحدود المصرية تتفق مع التزامات مصر الدولية وحقوقها السيادية.. فالحدود بين مصر وإسرائيل تتسم بحساسية خاصة وتشهد أعمالاً إجرامية متنوعةً منها تهريب السلاح والمخدرات والبضائع والأفراد.. وحماية الحدود من الأعمال السيادية التى تخدم الأهداف الوطنية والشعبية. وأن كل المصريين مع ممارسة حقوق السيادة الوطنية لمصر التى ترى أن أمنها القومى هو استخدام جميع الموارد المتاحة ومصادر الدولة الرئيسية من أجل تحقيق أهداف وغايات ومصالح الدولة العليا وحمايتها ضد التهديدات التى تعرقل تنفيذ هذه الأهداف فى التوقيتات المطلوبة.

* أن هذه الإنشاءات ليست لها علاقة بموقف غزة لأن له أبعاداً أخرى، فهناك معبر قانونى رسمى وهو معبر رفح. وما يجب الحديث عنه هو كيف يتم فتح المعابر الأخرى وتفعيل القرارات الدولية لإعادة الإعمار.

* أنه يجب التفريق بين الجدار العازل الذى تقيمه إسرائيل والإنشاءات المصرية، فالأول جدار عنصرى غير شرعى يهدف إلى تقسيم الأراضي الفلسطينية، وقد أدانته محكمة العدل الدولية، بينما الثانية تتفق والقوانين الدولية التي تسمح لمصر أو أي دولة القيام بإنشاء ما يحمى حدودها خاصةً إذا كانت تلك الحدود عرضةً لتهديد مستمر لأمن أى من الدولتين كما هو الحال بالنسبة للحدود المصرية مع قطاع غزة.



* أن للولايات المتحدة جداراً على امتداد حدودها مع المكسيك وأيضاً السور المقام من السلك الشائك على الحدود المصرية الليبية والخندق الذى حفرته الكويت وتبعته بسور مكهرب على طول حدودها مع العراق.
* أن تواجد القوات متعددة الجنسيات على الحدود المصرية الفلسطينية لا يمنع حقوق مصر فى تأمين حدودها نظراً لأن مهمة هذه القوات ليست السيطرة على الحدود أو تأمينها، وإنما مراقبة التزام مصر وإسرائيل بتنفيذ معاهدة السلام.
* أن الحل الجذري للتقليل من أضرار هذه الإنشاءات هو توقيع حماس على اتفاق المصالحة مع حركة فتح، الأمر الذى سيؤدى إلى قيام مصر بفتح معبر رفح وتسيير حركة دخول وخروج الفلسطينيين.

٢- دور مصر والأزمة العراقية

أكد الرئيس مبارك أن "موقف مصر- وما يزال- واضحاً منذ البداية في رفض خيار الحرب. وفي رفض المشاركة في العمليات العسكرية لقوات التحالف ضد العراق الشقيق. وسعينا بكل ثقلنا للتأثير في موقف دول التحالف من خلال إبراز خطورة العمليات العسكرية وتداعياتها. ليس فقط علي الجانبين. وإنما علي أمن واستقرار منطقة الشرق الأوسط والعالم أجمع.... وغني عن الذكر أن مسئوليتنا تحتم علينا في ظل هذه الأوضاع غير العادية أن نرفع عالياً شعار الأمن القومي المصري أولاً وقبل أي اعتبار"[٢٠] .

تمثل الموقف المصرى أثناء الحرب على العراق فى النقاط التالية :

أ- رفض الحرب على العراق، والتأكيد على أنه كان من الممكن الوصول إلى حل دبلوماسى للأزمة، بدلاً من الدمار وسقوط الضحايا . حيث كان هناك تقدم فى مهمة فريق التفتيش الدولى فى العراق، وكان المطلوب فقط هو

---

(٢٠) كلمة الرئيس مبارك إلى الأمة حول (العدوان الإسرائيلي على لبنان) ٢٠٠٦/٧/٣١.

المزيد من الوقت من أجل استكمال مهمة التأكد من خلو العراق من أسلحة الدمار الشامل. وقد استمد الموقف الرسمي قدراً من المساندة وقوة الدفع من الموقف الشعبى الرافض للحرب، والذى تمثل فى المظاهرات والاحتجاجات الشعبية.

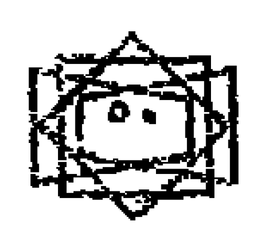
ب- أن تغيير نظام الحكم فى العراق من خلال التدخل بقوات أجنبية ينطوى على عواقب خطيرة ويعد سابقةً من الممكن أن تتسبب فى العديد من التداعيات السلبية علي النظام الدولى والاستقرار في المنطقة.

جـ- الدعوة إلى وقف إطلاق النار الفورى وإنهاء العمليات العسكرية، وهو موقف تبنته السياسة المصرية فور بدء الحرب، وعبر عنه الرئيس مبارك فى اتصاله بالرئيس الأمريكى السابق جورج بوش فى اليوم الثانى لاندلاع الحرب (٢١مارس٢٠٠٣). وارتكزت الدعوة المصرية لوقف إطلاق النار على ضرورة إنهاء معاناة الشعب العراقى، وتفادى وقوع المزيد من الضحايا فى أوساط المدنيين العراقيين، علاوةً علي أن العمليات العسكرية لن تحل المشكلات القائمة، كما أن الأفكار المطروحة حول الخطط المستقبلية فى العراق لا توحى بالتفاؤل . وفى الوقت نفسه، شدد الموقف المصرى على أنه ليس من حق أى دولة أن تتدخل فى الشئون الداخلية العراقية، وإنما الشعب العراقى هو صاحب الحق فى اختيار حكومته .

د- المشاركة فى الجهود العربية لعقد اجتماع للجمعية العامة للأمم المتحدة لبحث الحرب على العراق، بهدف احتواء الموقف المتدهور، ووقف الحرب الأمريكية - البريطانية على العراق[٢١].

---

(٢١) أحمد ابراهيم : سياسة مصر تجاه العدوان الأمريكى على العراق وإمكانية توسيع الحرب ضد دول عربية أخرى .. الدور الإقليمى لمصر فى مواجهة التحديات الراهنة .. مركز البحوث والدراسات السياسية .. جامعة القاهرة .. ٢٠٠٣ .



٣- دور مصر والأزمة فى السودان :

تكشف التطورات الأخيرة للسياسة المصرية تجاه السودان عن عدد من الملاحظات أهمها الآتى :

أ- أنه على صعيد دعم المبادئ والرؤية المصرية تجاه القضية السودانية ما زالت القناعة المصرية أن أفضل الحلول هو خيار الوحدة وتسوية المشكلة فى إطار وطنى بعيداً عن مبدأ حق تقرير المصير حتى لو لم يكن يؤدى إلى إنفصال.

ب- أن مصر تتحسب لاحتمال إعمال مبدأ حق تقرير المصير وأن يختار الجنوبيون الانفصال، وذلك بفتح مزيد من قنوات الاتصال مع الطرفين الشمالى والجنوبى فى السودان بهدف استكشاف نوايا الأطراف المختلفة تجاه مصر والسياسة المصرية ومصالحها، وهو ما يشير إلى تغير أساسى فى السياسة المصرية يتمثل فى التحول عن تصنيف القوى السودانية إلى أصدقاء وأعداء[٢٢] وإقامة علاقة متوازنة مع جميع القوى السياسية فى هذا البلد، لتبقى على مسافة واحدة من هذه الأطراف جميعاً، بما فى ذلك جميع حركات دارفور المسلحة، وحزب المؤتمر الشعبى المعارض الذى يتزعمه الدكتور حسن الترابى، وهذا الأمر مكّن مصر من لعب دور أكبر فى عدد من القضايا داخل السودان، لاسيما فى الأزمات بين شريكي الحكم الرئيسيين: المؤتمر الوطنى والحركة الشعبية، مما أهلها للقيام بدورأكبر لتحقيق المصالحة الوطنية الشاملة والتوافق الوطنى داخل السودان فى هذه المرحلة.

وقد عبر الموقف المصري في مواقف عديدة عن دعمه للسودان في كل المحافل الإقليمية والدولية, بدءاً من مفاوضات تسوية الجنوب في كينيا التي انتهت بتوقيع اتفاقية "نيفاشا", مروراً بالمراحل المختلفة لأزمة دارفور, وانتهاءً بأزمة المحكمة الجنائية الدولية.. وتصحيح العديد من المواقف الاقليمية والدولية غير الإيجابية تجاه السودان مع محاولة الحد من التأثيرات السلبية لهذه المواقف.

---

(٢٢) د. محمد عاشور : مصر وقضية السودان : المحددات ورؤية التسوية .. مرجع سابق .

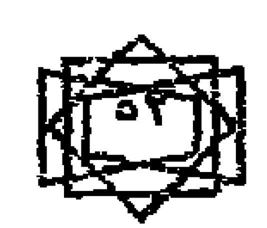
وقد مثلت الزيارة التاريخية للرئيس حسنى مبارك لجوبا عاصمة الجنوب فى نوفمبر ٢٠٠٨ لأول مرة حدثاً بارزاً فى تاريخ العلاقات المصرية السودانية .

وفي ٢٦ أكتوبر ٢٠٠٩ أكد الرئيس مبارك في لقائه بوفد كبير من حكومة جنوب السودان يرأسه رئيس حكومة الجنوب ونائب الرئيس السوداني سيلفا كير التزام مصر في النهاية بما يقرره غالبية الشعب السوداني في الجنوب, وأهمية أن تلتزم حكومة الجنوب بإجراء الانتخابات الرئاسية والنيابية في موعدها, وأن يلتزم الشمال بإجراء استفتاء حق تقرير المصير للجنوب في موعده المحدد, وأن يدرس الجانبان خلال الفترة الباقية, النتائج التي يمكن أن تترتب علي قيام دولة مستقلة في الجنوب لا تملك البنية الأساسية والمؤسسات الضرورية لقيام دولة مستقلة قابلةً للاستمرار, ومخاطر الاقتتال القبلي علي مصير الدولة الوليدة, وأن يتفق الجانبان منذ الآن علي كيفية مواجهة المشكلات التي يمكن أن تترتب علي الانفصال اذا أصبح خيار الاستقلال أمراً لا مفر منه.

كما أكد الرئيس مبارك استمرار الجهود المصرية في تنمية الجنوب ومعاونته علي إنارة مدنه وتعليم أبنائه وتحسين الرعاية الصحية في الولايات العشر الجنوبية, وتشجيع المستثمرين العرب والمصريين علي الاستثمار في مشروعات التنمية في الجنوب, لأن الجنوب سوف يظل من وجهة نظر مصر جزءًا من السودان حتي بعد قيام الدولة المستقلة.

وقد اتسم التحرك المصرى تجاه قضية دارفور بإدراكه لتعقيدات الوضع الداخلى فى دارفور وارتباطاته الخارجية، وضرورة أن يكون هذا الحل شاملاً وعادلاً حتى تكتب له الديمومة والاستمرار، وإدراكه أيضاً بأنه لايمكن لأى جهة أياً كانت صنع هذا الحل بمفردها.

كما فتحت مصر أبوابها لقيادات الحركات المسلحة بدارفور، الذين دعتهم لأكثر من اجتماع كان آخرها ملتقى القاهرة فى ١٤ يوليو ٢٠٠٩ لتوحيد ٧ فصائل



دارفورية كضرورة للدخول فى تفاوض مع الحكومة السودانية لحل الأزمة بدارفور، وطرحت فيه مصر خريطة طريق تنصب على العمل فى ثلاثة اتجاهات لحل الأزمة، أولها: توحيد الحركات المسلحة بالإقليم عبر صيغتين، إما أن تكون الوحدة عبر تنظيم واحد كحد أعلى، أوعبر رؤى تفاوضية مشتركة ووفد تفاوضى واحد كحد أدنى، وثانيها: العمل على تحقيق المصالحة السودانية التشادية، وثالثها: العمل على تحسين الأوضاع الإنسانية والأمنية بالإقليم، إضافةً للوجود العسكرى حيث ساهمت مصر في قوات حفظ السلام المشتركة بين الأمم المتحدة والإتحاد الأفريقى بالإقليم، واستشهد أحد أفرادها هناك .

وحينما أصدرت المحكمة الجنائية الدولية قرارًا باعتقال الرئيس السوداني عمرالبشير في مارس ٢٠٠٨ بتهمة ارتكاب جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية بدارفور، أكدت مصر دعمها لكافة الجهود التي من شأنها تجميد إجراءات المحكمة، وبذلت جهوداً مع الدول العربية والأفريقية في مجلس الأمن لتنفيذ المادة ١٦ من القانون الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية لتوقيف أي إجراء ضد السودان والرئيس البشير، وأكدت كذلك دعمها لجهود تحقيق أمن وسلامة السودان والتأكيد على سيادته الوطنية وتحقيق السلام فى دارفور[٢٣].

٤- دور مصـــر والحرب على لبنـــان:

- إبان العدوان الاسرائيلى على لبنان فى يوليو ٢٠٠٦ قدمت مصر كل الدعم والعون والمساعدات للبنان سواء على المستوى السياسى أو الاقتصادى على النحو التالى :

---

(٢٣) موقع الهيئة العامة للاستعلامات . WWW.SIS.gov.eg

- أدانت مصر العدوان الاسرائيلى منذ اللحظة الأولى ونشطت حركتها الدبلوماسية لإيقافه والبحث عن حل للازمة وحثت الطرفين على ضبط النفس،
- شاركت مصر فى مؤتمر روما المنعقد فى ٢٠٠٦/٧/٢٤ للبحث عن سبل إيقاف الحرب وأسفر عن تأييد مصر والمجتمع الدولى للنقاط السبعة التى قدمتها الحكومة اللبنانية والتى ساعدت مصر على أن تكون أساس القرار ١٧٠١ والذى صدر ضمن الفصل السادس وليس الفصل السابع .

وقال الرئيس مبارك "إن مصر تدين بأقوى العبارات هذه المذبحة البشعة، وتدعو لتحقيق دولي عاجل، يكشف ملابساتها ويحمل إسرائيل مسئوليتها... تستمر جهود مصر الداعمة للبنان وشعبه بكافة طوائفه، دون تفرقة أو تمييز، داعية لاحترام استقلاله وسيادته ووحدة أبنائه وأراضيه، ومطالبة بوقف فوري غير مشروط للعدوان الإسرائيلي على شعب لبنان ومكتسباته وبنيته الأساسية .... سنواصل تحركنا واتصالاتنا بكافة الأطراف الإقليمية والدولية لوقف هذا العدوان.... تكثيف التحرك فى الإطارين الإقليمي والدولي ومتابعة التحرك الراهن بمجلس الأمن والتعبير بقوة ووضوح عن موقف مصر الثابت من الاعتداءات الإسرائيلية على لبنان .. ستتواصل مساعدات الإغاثة المصرية لشعب لبنان الشقيق ... استعداد مصر لوضع كافة إمكانياتها من أجل إعادة إعمار ما ألحقه العدوان الإسرائيلي من دمار بمنشآته ومرافقه وبنيته الأساسية[٢٤] .

<u>٥- موقف مصر من إيران :</u>

أوضح الرئيس مبارك فى ٢٠١٠/١/١٧ أن مصر ليس لديها مشكلة لإقامة علاقات طيبة مع كل الدول بما فيها إيران وأن المشكلة فى العلاقات المصرية

---

(٢٤) كلمة الرئيس مبارك لقادة وضباط وجنود الجيشين الثاني والثالث بشأن الأزمة العراقية.. الاثنين، ٣١مارس ٢٠٠٣ .

– الإيرانية تكمن فى وجود ٣٧ مصرياً عليهم أحكام قضائية ومطلوب تسليمهم لتنفيذ هذه الأحكام إلا أن إيران ترفض ذلك، مشيراً إلى لقاءاته مع على لاريجانى رئيس البرلمان الإيرانى وقبله وزير الخارجية ثم مستشار نجاد، مؤكداً حرص مصر على إقامة علاقات طيبة مع كل دول العالم . وشدد مبارك على أن مصر لا تسعى لإيجاد مشكلة مع أى دولة طالما لا تمس هذه الدولة أرضنا أو أولادنا .

ويتمثل الموقف المصرى من قضية البرنامج النووى الإيرانى فى الآتى : –

أ– التزام مصر بأجندتها السياسية الخاصة بضرورة إخلاء منطقة الشرق الأوسط من كافة أسلحة الدمار الشامل .

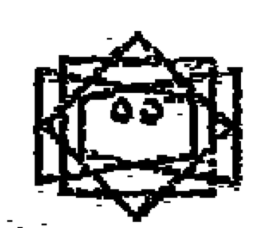
ب– حق إيران فى استخدام الطاقة النووية فى الأغراض السلمية .

ج– من حق المجتمع الدولى عامةً والعالم العربى ومنطقة الخليج العربى خاصةً التأكد من نوايا إيران السلمية فى هذا الخصوص .

ويتضح هذا الموقف من خلال التصريحات الرسمية التالية : –

** تأكيد وزير الخارجية أحمد أبو الغيط خلال اللقاء الذى عقده فى ٢٠٠٦/٦/١١ مع على لاريجانى أهمية النظر بعين بناءة ونظرة إيجابية للجهود التى تبذل حالياً من أجل التوصل إلى حل دبلوماسي لازمة الملف النووى الايرانى ومساعدتها على تحقيق النجاح المنشود. وعلى ضرورة بذل كافة المساعى من أجل الدخول فى المفاوضات بين أطراف الأزمة بهدف التوصل إلى اتفاق يلبى حاجات إيران ويزيل فى الوقت نفسه أية شكوك إزاء برنامجها النووى.

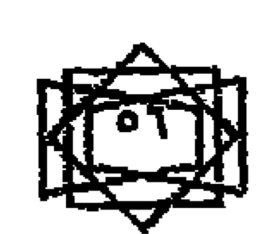
** خلال القمة المصرية – الإماراتية فى ٢٠٠٩/١٢/٢٢ أوضح المتحدث الرسمى لرئاسة الجمهورية السفير سليمان عواد أن موقف مصر واضح تماماً بالنسبة للملف النووى الإيرانى وهو حق إيران فى الاستخدامات السلمية للطاقة النووية شريطة إبداءها قدراً أكبر من المرونة تثبت من خلاله أن برنامجها النووى يركز على الاستخدام السلمى حتى تجنب شعبها مخاطر لا تحمد عقباها.



** خلال القمة المصرية السعودية فى ٢٠٠٩/١٢/٢٣ صرح وزير الخارجية أحمد أبو الغيط بأن نقاشاً وتشاوراً دارا حول الملف النووي الإيراني، لافتاً الى أن هناك إحساساً بضرورة التوصل إلى تسوية سياسية سلمية لهذا الملف تحقق لإيران حقها فى الاستخدامات السلمية للطاقة النووية ولكن في نفس الوقت تبعد خطر وشبح الانتشار النووي من هذه المنطقة، وبالتالي هناك حاجة لإظهار المرونة من كل الأطراف وصولاً لهذه التسوية السياسية.

** رفضت مصر التصويت على مشروع قرار ألمانى وافق عليه مجلس محافظى الوكالة الدولية للطاقة الذرية فى ٢٩ نوفمبر ٢٠٠٩ يدين إيران بتهمة انتهاك قرارات مجلس الأمن الدولى بوقف الأنشطة النووية، حيث وصف المتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية القرار بأنه غير متوازن، لأنه لم يراع البعد الإقليمي فى تناوله للملف النووي الإيراني، وكان الأمر يتطلب تضمين إشارة واضحة إلى أهمية التعامل مع القدرات النووية الإسرائيلية وإخلاء الشرق الأوسط من السلاح النووي، مؤكداً أن القرار تم طرحه على أعضاء مجلس محافظى الوكالة الدولية للطاقة الذرية دون إعطاء الوقت الكافى للتشاور بشأنه، وجاء فى توقيت غير مناسب، وبما لا يسهم فى تدعيم الثقة بين الأطراف المعنية لتسوية أزمة الملف النووى الإيرانى، وأن مصر مازالت متمسكة بالحق المشروع لكافة الدول أطراف معاهدة منع الانتشار النووى – بما فيها إيران – فى الاستفادة من الاستخدامات السلمية للطاقة النووية، وفقاً لالتزاماتها بموجب المعاهدة، وبدون فرض قيود إضافية تحد من هذا الحق.

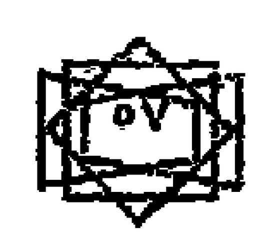
وأعرب عن خيبة الأمل لعدم قيام إيران بالإعلان عن وجود منشأة نووية بالقرب من مدينة قم، انتهاكاً لالتزاماتها تجاه الوكالة الدولية للطاقة الذرية، وذلك رغم تأكيدات طهران للوكالة بأنها لم تخف البيانات الخاصة بهذه المنشأة، والتى لم يتم الإعلان عنها قبل سبتمبر ٢٠٠٩.



٦- مصـــر والــدور التركي :

أثناء القمة المصرية التركية فى ٢٠٠٩/١٢/١٥ قال أحمد أبو الغيط وزير الخارجية أن مصر ترحب بالدور التركي فى قضايا منطقة الشرق الأوسط..... نافياً ما يتردد عن وجود منافسة أو خلافات بين مصر وتركيا بسبب تزاحم الأدوار فى منطقة الشرق الأوسط، وأكد أن هذه الأطروحات تأتى من بعض أعداء مصر وتركيا موضحاً أن تركيا هى جزء من منطقة الشرق الأوسط وكانت تلعب دورها فى المنطقة على مدى ٦ قرون، ومصر دولة كبيرة فى المنطقة ولها دورها أيضاً، وأن مصر ترحب بتركيا لاعباً جيداً فى المنطقة لاسيما وأن تركيا لديها إمكانيات وقدرات يمكن الاستفادة منها فى حل مشاكل المنطقة .... مؤكداً أنه "لا يوجد تنافس بين مصر وتركيا في الشرق الأوسط ، ولا نستشعر وجود هذا التنافس، هناك مصالح مشتركة ونمو هائل في التجارة والاستثمارات".

وفى حواره مع صحيفة الشرق الأوسط فى ٢٠١٠/١/١٥ أكد وزير الخارجية أن مصر وبأكبر قدر من الوضوح يسعدها ويسرها أن تعود تركيا وبعد ابتعاد دام ثمانين عاماً، أن تقوم بتأثيرها الإيجابي في مقدرات الشرق الأوسط وبما يحقق خدمة الهدف الفلسطيني ولقد غابت تركيا كثيراً ونحن نؤيد هذه العودة ونتعاون معها والرئيس عبد الله غل زار مصر كثيراً والرئيس مبارك زار تركيا كثيراً ووزير الخارجية المصري زار تركيا كثيراً ووزراء خارجية تركيا زاروا مصر كثيراً ولن نسمح بأن يصور البعض التحركات المصرية أو التركية بأنها تتنافس وأن الدور التركي يأخذ من الأدوار العربية أو من أدوار مصر، ولكلٍ توجهاته ولكل التزاماته، وأنا أثق أن الجميع يسعى إيجابياً لخدمة الهدف الفلسطيني. وإذا كان هناك خارج الإقليم العربي من يتحرك بالشكل الذي يؤدي إلى التوتر والمواجهة واستخدام العنف والشعارات الثورية فإننا نثق أن مصر وتركيا سوف تتصديان لمثل هذه المحاولات.



٧- مصر وحوار الحضارات :

لا تزال مصر تلعب دوراً أساسياً فى دعم قضية الحوار بين الحضارات وقد جندت مصر كل مؤسساتها الثقافية والإعلامية والدينية لإنجاح هذا الحوار ليقينها التام بأنه السبيل للخروج من أزمة الصدام بين الغرب والعالم الإسلامى، وذلك إثر ما زعمه صمويل هانتينجتون فى مقاله بمجلة (الفورن أفيرز) عام ١٩٩٤ بأن الصراع فى العالم سيكون صراعاً بين الحضارات بعد انتهاء الصراع الأيديولوجى بسقوط سور برلين وانهيار الاتحاد السوفيتى السابق .

وقد ارتكز الدور المصرى فى مبادرته للحوار بين الحضارات على الركائز التالية :

- التأكيد على الميزات النسبية لمصر كواجهة عربية وإسلامية لطرح مبادرات حوار الثقافات والحضارات، وذلك من قبيل تجربتها الفريدة فى التعايش بين ديانتين سماويتين لشعب واحد، تراكمت وتعددت انتماءاتها الثقافية والحضارية والفرعونية والقبطية واليونانية والرومانية والعربية الإسلامية، وصلاتها بحضارات البحر المتوسط وصلاتها الأفريقية .. إلخ، مقارنةً بدول أخرى ظلت منعزلة ثقافياً وحضارياً.
- العمل على كشف تناقض الموقف الحضارى لبعض القوى الكبرى التى تلح على تطبيق مبدأ التعددية الثقافية وحقوق الأقليات الثقافية داخل مجتمعات العالم الثالث- وهو مبدأ صحيح- كذريعة لإحداث القلاقل السياسية فى بعض الدول، ولكن هذه القوى الكبرى تتجاهل تطبيق نفس المبدأ على مستوى العلاقات بين الحضارات والثقافات على المستوى العالمى.
- يرتبط بما سبق تبنى موقف ناجح وحاسم برفض استخدام مبدأ "الخصوصية الثقافية والحضارية"من قبل بعض أنظمة الحكم لتبرير سياسات شمولية ومركزية ترفض التعددية الثقافية والفكرية والسياسية باعتبارها أفكاراً وافدة.



- تنشيط وتنويع الحوار الحضارى مع مناطق حضارية جديدة، خاصةً آسيا وأوروبا الشرقية وعدم الاقتصار على الحوار الحضارى مع الغرب.
- عدم الاقتصار فى الحوار مع الغرب على الحوار العربى – الأوروبى والاهتمام بفتح حوار حضارى مع الولايات المتحدة أيضاً (المنتج الأكبر للسلع الثقافية على المستوى العالمى والمتحكم الرئيسى فى البث الإعلامى والثقافى) .
- تنشيط سياسة ثقافية – إعلامية خارجية لمصر والدول العربية، ذكية وغير مباشرة لمخاطبة الرأى العام الغربى (خاصةً الأمريكى) على أن يسبق ذلك دراسة معمقة للتركيبة الثقافية لتلك المجتمعات حتى يمكن مخاطبتها بلغتها بما يضمن التأثير المطلوب، وأن يتم توظيف الصحافة والفضائيات والسينما والسياحة فى تحقيق هدف تحسين صورة العرب فى الغرب .
- وضع سياسة جديدة لتوظيف المهاجرين العرب والمسلمين فى دول الغرب باعتبارهم نماذج حية قوية التأثير فى تحسين الصورة حال قدرتهم على التفاعل الإيجابى – باعتبارهم مواطنين – فى الحياة الثقافية والاجتماعية والسياسية لمجتمعاتهم الجديدة .
- تنشيط الحوار مع قطاعات موضوعية ومنصفة داخل المجتمعات الغربية، خاصةً تيار المجتمع المدنى العالمى والكنائس والمثقفين الذين كان لهم موقف واضح ومؤثر ضد فكرة الحرب[٢٥] .

---

(٢٥) فؤاد السعيد : سياسة مصر تجاه مبادرات حوار الحضارات والأديان .. الدور الإقليمى لمصر فى مواجهة التحديات الراهنة .. مرجع سابق .

الفصـــل الرابـــع

القوة الناعمة و دور مصر الثقافى

عندما نتحدث عن الدور الثقافي أو القوة الثقافية لمصر فلا نعني الأدب والفنون فقط وإنما أسلوب الحياة، فالولايات المتحدة قبل أن تتحرك عسكرياً تستخدم قدراتها الثقافية في غزو دول العالم من خلال أسلوب الحياة في كل شئ، ومصر كان لها تأثيرها الفاعل في أسلوب حياة المنطقة .

فقديما كانت «القوة» تعني القوة العسكرية، أو القدرة على الإيذاء، ولكن سرعان ما جرى على المفهوم ما يجري عادةً من تعقيد وتركيب، فدخل فيها من عناصر ما هو محسوس وملموس مثل المساحة والسكان والقدرة الاقتصادية والعسكرية، وما هو غير قابل للقياس مثل القيادة والمهارة في تحويل الطاقة النابعة من كل ما سبق إلى نتائج سياسية[1].

وحينما تكون القوة «مزيجاً» من الكفاءة الاقتصادية وتحسين نوعية الحياة والمشروعية السياسية والإنجاز الاجتماعي والحضاري، فإن ذلك يجعل الكثير منها متاحاً لنا بأكثر مما نقدر من قبل. فطوال التاريخ العربي الحديث كانت الدول العربية من مستهلكي القوة التقليدية سواء تلك التي تستهلك السلاح أو تلك التي تستهلك الحياة، أما القوة الحديثة فهي تجعل للسلاح قيمةً أقل، وللشرعية والمشروعية والحكمة والمعرفة قيمةً أعلى. وبينما كان مصدر السلاح دائماً الخارج، والدول الكبرى والعظمي والأسواق السوداء، فإن أشكال القوة الأخرى يمكنها أن تنبع من داخلنا.

---

(١) د. عبد المنعم سعيد – هل تغير مفهوم القوة في العالم؟! – الشرق الأوسط ١٤ أكتوبر ٢٠٠٩ .

أولاً : القوة الناعمة المصرية فى الحقبة الليبرالية (١٩١٩-١٩٥٢)

لايمكن الحديث عن دور مصر الثقافى والحضارى فى المنطقة دون أن نتطرق إلى الفترة التالية لثورة الشعب سنة ١٩١٩ التي اصطلح على تسميتها بـ "الحقبة الليبرالية" وهى الفترة التى أجمع المؤرخون لتاريخ مصر الحديث أنها جسدت النهضة الحقيقية لمصر فى جميع المجالات والأصعدة .. وكان لها تأثيرها الفريد وغير المسبوق على جميع المجتمعات العربية بلا استثناء، وقدمت الحياة المصرية كنموذج مدهش للإنسان العربى من المحيط إلى الخليج، وما زال هذا النموذج يطغى بتجلياته الأثيرة على ذاكرة العقل العربى .

فعلى المستوى السياسى: شهدت تلك الحقبة زخماً فى الديمقراطية والممارسة السياسية وتداول السلطة المبنى على أساس دستورى سليم ألا وهو دستور ١٩٢٣ الذى كان هو الركيزة الأساسية لحياة ديمقراطية سليمة وكان من أهم سمات الحياة السياسية المصرية وجود حرية الصحافة وحرية إبداء الرأى، وحرية الاجتماعات وحرية تكوين الاحزاب، وحرية الاعتقاد فالدين لله والوطن للجميع، وسيادة القانون والحفاظ على حرمة المنازل والممتلكات، والفصل بين السلطات، ومسئولية الحكومة أمام البرلمان وليس أمام الملك.

وعلى صعيد الوحدة الوطنية: شهدت الحقبة الليبرالية أفضل عصور الوحدة الوطنية حيث تغلبت حرية الاعتقاد على النعرات الطائفية، ولأنه حين يكون هناك مشروع جامع للأمة (بالمعنى السياسي) يتوارى الحديث عن الشأن الطائفي. في ثورة ١٩١٩ وما تلاها من جهود تأسيسية لاستكمال إنشاء الدولة الحديثة ساد خطاب المواطنة على المستوى الشعبي رغم أن الشقاق الطائفي بلغ ذروته عام ١٩١١ أي قبل اندلاع الثورة بسنوات، وفي الحقبة الليبرالية كان هناك سياسيون أقباط فاعلون على الساحة السياسية، وكثير منهم دخل البرلمان عبر آلية الانتخابات الحرة حتى في دوائر الغالبية العظمي من الناخبين فيها من المسلمين.

وعلى المستوى الاقتصادي: جرى العمل على تحقيق استقلال اقتصادى لأن من لايملك قوتة لايملك حريتة ولعل تجربة طلعت حرب الاقتصادية بدايةً من إنشاء بنك مصر ليكون بنك الوطنية المصرية، الذى قاد ثورةً صناعيةً مصريةً ، وقام بانشاء الشركات العملاقة التى قادت نهضة مصر الحديثة مثل الشركات المالية والتجارية والصناعية والزراعية وشركات النقل بالبر والبحر وشركات التأمين بأنواعها، كما عمل على أن يكون لمصر صوت مسموع في شئونها المالية، ويدافع عن مصالحها كما تدافع البنوك عن مصالح بلادها .

وعلى مستوى الفنون والآداب: إنعكست النهضة الشاملة التى كانت تعيشها مصر على الفنون والآداب فبرز جميع عمالقة الادب العربى الحديث بدايةً من محمد حسين هيكل مروراً بتوفيق الحكيم وطه حسين والرافعى والعقاد وشهدت صناعة السينما عصرها الذهبى الذى وضع صناعة السينما المصرية فى مصاف الصناعات السينمائية العالمية.

حتى أن أعلام الموسيقى والغناء الذين أثروا الحياة المصرية طوال النصف الثانى من القرن العشرين كانوا نتاج تلك الحقبة أمثال عبد الوهاب وأم كلثوم. والمثال محمود مختار صاحب تمثال نهضة مصر، الذى يمثل فتاة مصرية تقف بجانب تمثال أبى الهول وتضع يدها على رأسه وهي رمز لمصر وهي تنظر إلى المستقبل(٢).

وعن هذه الحقبة يذهب د.حسن حنفي إلى أنها تجربة كان لها العديد من الإنجازات تجسدت في إقامة الحزب الوطني المصري على يد مصطفي كامل، وإنشاء الجامعة المصرية عام ١٩٠٨، والجمعيات العلمية، والدستور والبرلمان والتعددية الحزبية والانتخاب، ونقابات العمال، وحرية الصحافة.. إلخ. وأن هذه الفترة على الرغم مما يشوبها من سلبيات كان لها إيجابيات كثيرة، منها الإبداع والتعددية الفكرية والسياسية، إسلاميون وليبراليون ماركسيون .

---

(١) الموسوعة السياسية – موقع حزب الجبهة الديمقراطية

ثانياً : أهم ملامح قوة مصر الثقافية :

يمكن رصد أهم ملامح قوة مصر الثقافية فى العناصر التالية[٣]:

١- أن الثقافة المصرية هى شأن إنسانى عالمى، لأنها ثقافة تشكلت عبر الأزمنة القديمة والعصور السحيقة فكان لها تأثيرها الدامغ على جميع الحضارات والثقافات الإنسانية منذ فجر التاريخ وحتى الآن، فقد استطاعت مصر عبر تاريخها الطويل أن تكون منارةً للحضارة والفنون والثقافة .. وتفاعلت فيها الحضارات وامتزجت في منظومة إنسانية رائعة وأنتجت لنا حضارةً رائدةً متصلة الحلقات تفاعل معها الإنسان المصري وتركت في عقله ووجدانه بصماتها وقيمها الخالدة .

٢- أن حضارة مصر – بالنظر إلى موقعها- استوعبت كافة حضارات وثقافات الشرق والغرب وأنها تملك من الزخم الثقافي ما يجعلها دولة عظمى فى هذا المجال. وأن التنوع فى الثقافة المصرية هو تنوع نابع من تقاليد وراثية عظيمة- جعل جميع المذاهب الفنية الحديثة والمعاصرة تستفيد وتقتبس منها فعلى سبيل المثال أخذت المدرسة التجريدية من الأهرامات ومن المسلة – وأخذت السريالية من "أبو الهول". والثقافة المصرية هى ثقافة عالمية حيث أن الفن القبطي بكل روعته وعلو شانه نهل من المنهل الفرعوني.. كما أن هذا التأثير استمر حين انتقل تأثير الحضارة الفرعونية إلى الحضارة الإسلامية فجامع السلطان حسن يعتبر بمثابة الهرم الإسلامى .

٣- تعد الآثار المصرية كنز مصر وتاريخها المدون وشاهداً على ما أنجزه القدماء من حضارة. فأرض مصر تحتوى على أكثر من ثلث آثار العالم فى عشرات المواقع والمدن، وداخل قاعات العرض والمتاحف، فمصر من أعظم بلاد العالم حضارةً وأغناها بالآثار التى تبقت عن هذه الحضارة لذا اهتمت واهتم معها العالم ممثلاً فى منظمة اليونسكو بإنشاء المتاحف الكبرى للحفاظ على هذا التراث الإنسانى العظيم وقد أصبحت مصر بذلك عضواً فى (المجلس العالمى للمتاحف – ICOM) .

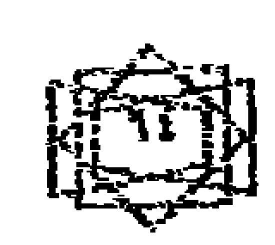
---

(٣) موقع الهيئة العامة للاستعلامات .. ww.Sis.gov.og

٤- أن المرأة المصرية تتمتع باعتبار كبير فى المجتمع المصري منذ زمن بعيد, ويعود أول ظهور لها إلى العصر الفرعوني حيث تساوت مع الرجل وتقلدت أمور السياسة والحكم . فقد حكمت حتشبسوت مصر فى الفترة من ١٤٧٩ قبل الميلاد حتى ١٤٥٧ قبل الميلاد، وكان لها دور تاريخي في تعضيد أركان الدولة في ميادين الدين والتجارة والسياسة الداخلية والخارجية .. وعلى هذا النهج سارت نفرتيتي وكليوباترا.

ودخلت المرأة كوزيرة فى الحكومة المصرية لأول مرة عام ١٩٦٢ ومنذ ذلك التاريخ لم يخل تشكيل حكومة مصرية من عدة حقائب وزارية تتولى شئونها المرأة، وترسخ مفهوم مشاركة المرأة في كافة مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فقد حصلت على حق الانتخاب والترشيح عام ١٩٥٦، ودخلت البرلمان، وشاركت في الحياة الحزبية و النقابات العمالية والمهنية والمنظمات غير الحكومية، وتقلدت الوظائف العليا في كافة ميادين الحياة وتوج ذلك بتعيينها قاضيةً، ولقد تميزت الفترة من ١٩٨١ وحتى الآن بتغييرات جوهرية وملموسة بهدف النهوض بالمرأة وتمكينها، وإدراكاً من الدولة لمكانة المرأة تم العمل علي تدعيم هذه المكانة علي كافة المستويات وبتضافر جهود جميع الهيئات والوزارات وإنشاء كيان مؤسسي خاص ومتميز هو المجلس القومي للمرأة .

٥- أن النهضة الشعرية العربية بدأت في مصر بأمير الشعراء احمد شوقي ثم حافظ إبراهيم وجيل الرواد أمثال أحمد زكي ابو شادي ومحمود حسن إسماعيل وعلى محمود طه وإبراهيم ناجى ومحمود غنيم والذي أعقبه جيل المحدثين ومنهم صلاح عبد الصبور وأمل دنقل ومحمد عفيفي مطر وأحمد عبد المعطى حجازى وفاروق شوشة ومحمد إبراهيم أبو سنة وفاروق جويدة، وفي سابقة هي الثانية بعد ألف ليلة وليلة اعترفت منظمة اليونسكو بالسيرة الهلالية كواحدة من روائع التراث الثقافي للإنسانية .



٦- امتلاك مصر لمكتبة من أعظم مكتبات العالم حين شهدت عام ٢٠٠٢ حدثاً ثقافياً عالمياً وهو افتتاح مكتبة الإسكندرية التى تعد أحد الصروح الثقافية العملاقة لتكون نافذة مصر على العالم ونافذة العالم على مصر، وقد وصل عدد عناوين الكتب بالمكتبة إلى ٤٠٠ ألف عنوان فى كل المجالات وتم وضع حجر الأساس لمشروع المليون كتاب بالتعاون مع أكثر من عشرين معهداً وجامعة ومؤسسة لتكنولوجيا المعلومات فى كل من الولايات المتحدة والصين والهند لمحو الأمية الالكترونية.

٧- تتفرد مصر بين دول المنطقة بوجود دار الأوبرا التى احتضنت هذا الفن الراقى منذ عام ١٨٦٩ وقد تم افتتاح المركز الثقافى القومى (دار الأوبرا) الجديدة عام ١٩٨٨، الذى لا يقتصر دورها عند تقديم وعرض الفنون العالمية والعربية فقط بل تمثل مراكز للإشعاع الحضارى ومركزاً قومياً للثقافة بمسارحها وقاعات العرض بها ومكتباتها الموسيقية ومراكز الإبداع الفنى بها .

٨- كان لبعض رواد فن النحت والفن التشكيلى فى مصر دور لا يقل أهميةً عن دور رواد التنوير الفكرى ومنهم محمود مختار وجمال السجينى ومحمود سعيد ويوسف كامل وراغب عياد ومحمد ناجي ومحمد صبرى وجاذبية سرى وصلاح طاهر وسيف وانلى وتحية حليم وغيرهم، وتوالى فى مصر ظهور العديد من الجماعات الفنية التشكيلية المختلفة التى استمدت جذورها من الفن المصرى القديم مواكبة فى نفس الوقت أحدث المدارس الفنية المعاصرة .

٩- سبقت مصر جميع دول المنطقة فى الفن السينمائى وكان ذلك منذ أكثر من مائة عام حيث كانت البداية الحقيقية للسينما المصرية عام ١٩٠٧ بعد ذلك عرض عام ١٩٢٧ فيلم ليلى وهو أول فيلم روائى مصرى تنتجه وتمثل فيه فنانة مصرية هى عزيزة أمير كما عرض أول فيلم مصرى قصير (حدائق الحيوان) للمخرج محمد كريم والذى كان أول مصرى يدرس الفن السينمائى في الخارج، وكان أول عمل أدبى مصرى يتحول إلى فيلم صامت هو رواية زينب للدكتور محمد حسين هيكل والذي عرض في ١٩٣٠ وأعيد تصويره ناطقاً لنفس المخرج عام ١٩٥٢ .

وكان إنشاء استديو مصر عام ١٩٣٥ نقلةً جديدةً فى تاريخ السينما المصرية حيث تم إنتاج أفلام مصرية عظيمة، وشهد عام ١٩٥٧ تأسيس أول مكتبة فى مصر والعالم العربى لنسخ الأفلام أو ما يعرف بالسينماتيك، كما استضافت القاهرة عام ١٩٦٠ أول مهرجان دولى وهو المهرجان الأفريقي – الآسيوي وأول فيلم مصرى يفوز بجوائز عالمية فيلم المومياء إخراج المتميز شادى عبد السلام الذى أثار دهشة العالم بفيلمه وقد حصل على ١٢ جائزة من مهرجانات دولية مختلفة، ومن الشخصيات التى تركت بصمات واضحة في تاريخ السينما المخرج يوسف شاهين وهو أول مخرج يقام أسبوع لأفلامه بإحدى الدول الأجنبية (باريس) والفنان العالمى عمر الشريف ومخرج الواقعية صلاح أبو سيف ومخرج الرومانسية عز الدين ذو الفقار .

١٠- عرفت مصر الفن المسرحى في فترة مبكرة من تاريخها الحديث وقد شهد المسرح المصرى تغيرات تتناسب مع ما شهده مسرح الأحداث السياسية والاجتماعية فى القرن العشرين، ثم كانت الصحوة الحالية فى أساليبه وتقنياته وشهدت الحركة المسرحية تطوراً كبيراً من حيث عدد المسارح الجديدة أو تطوير القائم منها لتستوعب جميعها الفرق المسرحية الحرة التى يزيد عددها عن الخمسين فرقة فضلاً عن الفرق المسرحية التابعة لوزارة الثقافة.

كما ظهر المسرح الغنائى فى مصر مع بداية القرن العشرين برعاية الشيخ سلامة حجازى وبقدوم سيد درويش أحدث تطوراً كبيراً فى الموسيقي وتبعه موسيقيون تميزوا بالموهبة العالية وتألق عمالقة الغناء أمثال أم كلثوم (كوكب الشرق) ومحمد عبد الوهاب.

١١- تكاد تكون مصر هى الدولة الوحيدة التى تفتخر أشهر مدن العالم بوضع الآثار المصرية فى أهم ميادينها وأكبر متاحفها، وهناك أكثر من خمسين مسلة مصرية تزين ميادين العواصم الأوروبية والأميركية نقل بعضها بداية من أشور هانيبال الذي نقل مسلتين إلى نينوى، ونقل أباطرة الرومان كثيراً منها الى روما

والقسطنطينية حتى شامبليون نقل مسلة رمسيس من معبد الأقصر إلى ميدان الكونكورد فى باريس، ومن أشهر هذه المسلات، مسلة كليوباترا بلندن والمسلة الفرعونية فى وسط ساحة الكونكورد بباريس و مسلة كليوباترا بنيويورك ومسلة روما و مسلة اسطنبول.

ثالثاً : دور مصر الثقافي بين الحضور والتراجع :

من الضرورى القول أن الدور الريادي لأي بلد في مجال الثقافة لا يكون بالادعاء من جانب هذا البلد بل بالقبول والتسليم به من الآخرين. وعندما نبحث في موضوع الدور الثقافي لمصر في المنطقة العربية والإقليم الأوسع من حولها فسوف نجد أن لذلك مصادر موضوعية مؤكدة، منها السبق التاريخي، فقد كانت مصر من أولي الدول التي تبلورت فيها فنون الثقافة المختلفة وصدرت فيها المجلات الثقافية المتخصصة ونشأت صناعة السينما والمسرح.

ومن منتصف ستينيات القرن الماضي تغيرت ظروف المنطقة فحصل عدد أكبر من الدول العربية علي الاستقلال وتعرضت مصر لهزيمة موجعة في عام١٩٦٧ ثم حدث التحول في موازين القوي الاقتصادية والمالية وسعت دول عربية إلي إنشاء مؤسساتها الفكرية والثقافية مستخدمةً في ذلك أعدادا كبيرة من المثقفين المصريين وقامت بإنشاء جوائز ثقافية كبري كما وظفت أجهزة إعلامها لتسليط الضوء علي أحداث وشخصيات بعينها.

ولا يميل الأكاديمى والسياسي الكبير الدكتور على الدين هلال إلي الحديث عن تراجع مصرى على الصعيد الثقافى وإنما يرى من الأدق القول أنه برزت مؤسسات وأنشطة ثقافية في بلاد عربية أخري وأن هناك توظيفاً أكبر للثروة للتركيز علي هذه الأنشطة. ولكن من المؤكد أنه ليس في وسع الثروة أو التركيز الإعلامي أن يخلق دوراً ثقافياً.

فثمّة نموّ على الأطراف لم يكن موجوداً في بداية القرن العشرين، فعندما أصدر الشيخ علي عبد الرازق كتابه المُثير للجدل "الإسلام وأصول الحكم" لم يكن هناك ندّ له في مشرق البلاد العربيّة أو مغربها، وهذا ينطبق على د. طه حسين في كتابه "الأدب الجاهلي" مثلاً.

أى أن الحديث عن تراجع الدور الثقافي لمصر نسبي وليس مطلق من جهة، بمعنى أنه واقع بالفعل في بعض المنابع الثقافية المصرية التي يستقى منها العرب فيتأثرون بها، ولكنه غير متراجع في منابع أخرى.

فلو قلنا أن المنابع الثقافية المصرية الكبرى أساسها النتاج الفكري لكبار كتابها وفلاسفتها ومفكريها على مدى عقود طويلة مضت، فإن هذه المنابع لم تتوقف عن تغذية أنهارها التي تصب في العالم العربي، بل أنها تتطور بحكم الزمن وتتابع الأجيال، لينهل منها كل محبي المعرفة وعشاق الفكر والثقافة في الوطن العربي، بغض النظر عن أي اعتبارات أخرى، وبذلك لا يمكن القول بتراجع دور الثقافة المصرية في هذا المجال بما له من قوة تراكمية الأثر على المدى الطويل. والدليل على ذلك مبيعات الكتب المصرية في العالم العربي التي تزيد عن معدلات توزيعها في مصر.

ومن ناحية أخرى فإن القول بأن الدور الثقافي المصري قد تراجع يعنى تقدم ثقافات أخرى، وهذا لم يحدث فهناك حالة ضعف في الثقافة العربية بشكل كامل، وبالتالي يصعب الحديث بنظرة قطعية عن تراجع الدور المصري خاصةً على المستوى الفردي، فالمثقف المصري لا يزال حاضراً بقوة.

الخاتمـــــة

رغم التحديات السابق ذكرها، إلا أن هناك الكثير من الفرص والإمكانات والآليات التى تتوافر أمام الدور الاقليمى المصرى؛ ليظل قائما وفاعلاً فى محيطه العربى والاقليمى، ومنها: -

١- تؤكد السمات السياسية والجغرافية والاجتماعية والسكانية، أن مصر ليس بها أى منها انقسامات طائفية أو قبلية بل يعيش المسلمون والمسيحيون بها فى نسيج واحد لهم نفس الحقوق والواجبات بدون تفرقة، كما يتميز الشعب المصرى بصلابته وتماسكه خاصةً فى الشدائد ولمصر تاريخ حافل وممتد على عدة مراحل بدون إلغاء لأى مرحلة تعكس مكانتها التاريخية والحضارية عبر العصور .

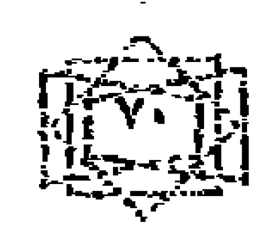
٢- قطعت مصر شوطاً كبيراً فى مجال التركيز على دور المجتمع المدني في نهضة المجتمع، وهو ما سيؤثر بالضرورة على كل المنطقة، إضافةً إلى المشاركة الشعبية التي تعمل على تعديل الفكر بأكمله، وبالتالي يمكن الحديث عن نموذج مصري يطرح الفكر الديمقراطي أمام المنطقة، وهو ما أكده الرئيس مبارك في قمة الجزائر فى مارس عام ٢٠٠٥ حينما طالب من المجتمعات العربية العمل على "إفراز مؤسسات المجتمع المدني والأهلي، وأن يكون لها الشراكة الكاملة والفاعلة مع الإدارات العربية الحاكمة في إنفاذ خطط الإصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي الشامل طبقاً لقيمنا الدينية وثقافتنا العربية والإسلامية بعيداً عن التدخلات الخارجية ...".

٣ – أن أمام مصر فرصةً تاريخيةً لقيادة المنطقة باستخدام القوة الناعمة "Soft Power" من خلال الإصلاح الداخلي والديمقراطية، وبدون أن تتحمل مواردها أكثر مما تتحمل، بل على العكس يمكن من خلاله جلب المزيد من الموارد

الإضافية لأن أي سياسة خارجية ناجحة لابد أن تكون قائمة على قاعدة داخلية متينة بما يعطي السياسة نوعاً من الشرعية وعندما تستطيع مصر أن تأخذ مكاناً متميزاً في تطبيق القوة الناعمة والإصلاح بما يدعم السياسة الخارجية ويعطي المصداقية لدورها.

٤- تؤكد التغيرات الاجتماعية أن مصر أكثر شباباً من أي وقت مضي، فثلثي عدد سكانها يقعون دون سن الخامسة والثلاثين; وارتفع العمر المتوقع عند الميلاد لشعبها ٧٢ عاماً, وهو ما يعني أن المصريين خلال العقود الثلاثة الماضية ارتفع عمرهم ١٥ سنةً كاملةً, ومن المنطقى أن تحقيق ذلك لم يكن ليتحقق إلا بتحسين مستويات الصحة والتغذية، وهؤلاء أيضا مع غيرهم يوجد بينهم ٧٢% من المتعلمين, وهي نسبة لم يتوافر مثلها منذ قام الملك مينا بتوحيد القطرين تحت تاج واحد مجيد، وهؤلاء أخيراً متصلون ببعضهم البعض وبالعالم كما لم يحدث أبداً في تاريخ مصر من خلال الكمبيوتر وشبكات الإنترنت, وحتي القدرة علي السفر والترحال والحركة داخل مصر وخارجها، ومن هذه النوعية من المصريين يمكن الحصول علي الموارد البشرية اللازمة للقضاء علي الأمية, والدفع بعجلة الإنتاج, والتعلم من دول العالم المختلفة ونقل تجاربها الناجحة, وباختصار الأخذ بيد المجتمع كله إلي حيث يجب أن يكون.

٥- أن مصر الآن أكثر تماساً مع جغرافيتها, فلم تعد فقط دولة تعاني من انفجار سكاني, وإنما هي دولة تعيش على مليون كيلومتر مربع، فسيناء لم تعد منطقة' أمنية', والصحراء الغربية لم تعد مناطق قاحلة، وأسوان وما جاورها شرقاً وغرباً لم تعد من المناطق' النائية', وأصبحت المناطق البعيدة مثل مرسي علم والغردقة والبحر الأحمر والعين السخنة ومرسي مطروح والساحل الشمالي، متاحة وقريبة بفعل شبكة كبيرة من المطارات والموانى والطرق والسكك



الحديدية، وباختصار فإن المعادلة الديمغرافية- الجغرافية المصرية تغيرت, فمن عاش علي٣% من مساحة البلاد ليس كمن عاش علي٦%, وما هو الحال لو عرف المصريون كيف يعيشون علي نسبة١٢% بل و٢٤% من مساحة بلادهم؟.

٦- نجحت مصر في تكوين طبقة وسطي يعتد بها, وبات وسط الأسر المصرية الفقيرة جماعة ممن لديهم العلم والثروة التي تكفي لقيادة المجتمع نحو عالم أو آخر أفضل حالا. فالآن ونتيجة التغيرات التي جرت خلال العقود الثلاثة الأخيرة أصبحت الطبقة الوسطي مزيجاً من الطبقات الوسطي القديمة, وطبقة أخرى خلقتها سياسات الإصلاح الاقتصادي.

٧- أن كل الأرصدة السابقة جعلت النظام السياسي يقدم على اجراء التعديلات الدستورية التي تمت ما بين عامى ٢٠٠٥ و٢٠٠٧ لاستيعاب التغييرات السريعة من خلال التأكيد علي قاعدة المواطنة, وإعطاء البرلمان القدرة علي تعديل الميزانية, وإطلاق طاقات السوق المصرية وتنقية الدستور من المواد 'الاشتراكية'. وهو ما يؤهل مصر لأن تقوم بأدوار فاعلة فى منطقتها العربية، ليس فقط على مستوى القضية الفلسطينية، ولكن فى قضايا التنمية والتطور الديمقراطى واحترام حقوق الإنسان، وتستطيع أن تمد دورها إلى أقاليم ومناطق أخرى مثل أفريقيا والبحر المتوسط والعالم الإسلامى، وهى من خلال هذا الدور تستطيع أن تكون مشاركةً وبفاعلية كما كانت دائما فى صنع مستقبل المنطقة والشرق الأوسط وهذا هو دورها التاريخي الذي لا يمكن ان تتخلي عنه و لا ينزعه منها احد.



مطابع الهيئة العامة للاستعلامات



تذكرت بمناسبة مرور عشرين عاماً على بدء مشروع القراءة للجميع عام ١٩٩٠ حكاية تقول إن الفيلسوف اليونانى " أرسطو " كان معلماً للإسكندر المقدونى، وإنه استطاع أن يشحن وجدان الإسكندر ، ويشحذ رغبته ولعاً بكل أشكال التعليم والقراءة ، حتى إن الإسكندر لم يكن يظهر إلا وفى يده كتاب ، ولكن حدث خلال إحدى رحلاته إلى آسيا أن عانى قلة الكتب ، فإذ به يأمر أحد قادة جيوشه أن يحضر له بعض ما يقرؤه .

وكأن هذه الحكاية قد جاء تذكرها بمثابة حساب للنفس عما أنجزناه ، حتى لا يعانى أحد قلة الكتب وجوداً وثمناً ، فتجلت مكتبة الأسرة ، التى بدأت عام ١٩٩٤ ، هى المصالحة الواقعية التى تجاوزنا بها تلك المشكلة ، تحقيقاً للإتاحة العامة للكتاب، وذلك بالربط بين اتساع إصداراتها المتنوعة فى شتى مجالات المعرفة ، والدعم المادى الذى تتمتع به أسعار تلك الإصدارات ، فيجعلها فى متناول الجميع . وقد تلازم نشاط مكتبة الأسرة لسنوات عدة مع فعاليات مشروع القراءة للجميع ، لكننا أخيراً أكدنا ضرورة استمرار إصدارات مكتبة الأسرة طول العام انطلاقاً من حكمة قديمة ما زالت تعاصرنا ، وهى أن ... يستطيع القراءة، يستطيع رؤية ضعف ما يراه الآخرون

سوزان





www.sis.gov.eg

رقم الإيداع

٢٠١٠ / ١٣٨٣٥